التقدمي

نشرة شهرية يصدرها المنبر التقدمي - مملكة البحرين SDPA 499 العدد 138 السنة السابعة عشر - مايو 2019

الأول من مايو
قضايا العمال في عيدهم

جودة التعليم وشمّاعة التقشف 03

رأس المال الكولونيالي في سياق الأزمة الاقتصادية البحرينية 19-17

مهرجان البحرين المسرحي الأول 35-34

موقفنا

مؤشرات إيجابية نحو أفق أفضل

رحّب المنبر التقدمي بالأمر الملكي الصادر عن جلالة الملك بتثبيت جنسية 551 محكوماً صدرت بحقهم أحكام بإسقاط الجنسية، وبدورها رحبت الكتلة النيابية للتقدمي، كتلة «تقدّم» بالأمرالملكي، كما سبق لها أن رحبت بتوجيهات جلالة الملك الداعية إلى تعزيز إمكانات التطبيق الفعّال لقانون العقوبات والتدابير البديلة وتوفير البرامج التأهيلية التي تتناسب مع الظروف الشخصية للمحكوم عليهم.

وفي إشادته بهذا الأمر الملكي الذي قوبل بحال واسعة من الارتياح الشعبي، وبالصدى الايجابي على المستوى الخارجي أيضاً؛ عبّر «التقدمي» عن الأمل في أن تكون هذه المبادرة الملكية أساساً لمزيد من المبادرات والخطوات التي يمكن أن تفضي إلى انفراج أمني وسياسي حقيقيين من شأنهما تمتين الوحدة الوطنية وترسيخ نهج التفاهمات الوطنية وتقوية قدراتنا على مواجهة التحديات الاقتصادية والاجتماعية والمعيشية المتفاقمة وإعطاء دفعة جديدة للعملية الإصلاحية ينتظرها الجميع وتفتح آفاقا جديدة للعمل الوطني الديمقراطي.

ولعلنا لاحظنا حال الإجماع الوطني في رفض التصرف المشين لأحد المستشارين العرب في الجمعية العمومية الأخيرة لغرفة تجارة وصناعة البحرين، حين تفوّه بعبارات مسيئة وغير لائقة بحق مكون أساسي من مكونات الشعب البحريني، حيث استهجنت كافة الفعاليات المجتمعية هذا السلوك وأدانته، وقوبل برفض شعبي واسع، وبمطالبات للجهات المعنية في الدولة باتخاذ الإجراءات الرادعة بحق هذا الشخص، الذي تمادى في غيه معتقداً أن ما قاله سينال رضا البعض.

ولكن اتحاد البحرينيين في إدانة واستهجان سلوكه قدّم بدوره مؤشراً على بداية تعافي المجتمع البحريني من اللوثة التي أريد له أن ينزلق إليها تحت تأثير الأزمة السياسية التي مرت بها البلاد، وأن كافة فئات الشعب آخذة في أن تتلمس من جديد أهمية الوحدة الوطنية البحرينية، وعدم الانجرار وراء الأصوات النشاز التي اقتات على مدار سنوات على هذا الخطاب الطائفي البغيض، وآن الأوان لإيقافها عند حدها، وتجريم كافة تجليات خطاب الكراهية والفتنة المذهبية، والعمل على إعادة بناء الوحدة الوطنية.

ومثل هذه المهمة تلتقي مع الخطوات الإيجابية التي اتخذها جلالة الملك ودعا إليها، في التأسيس لمرحلة جديدة، نتجاوز فيها آثار الماضي، وتحدث نقلة نوعية من الانفراج السياسي والأمني، وإعادة الزخم للعملية الإصلاحية التي عرفتها بلدنا في بداية الألفية، بعد التصويت على ميثاق العمل الوطني وما تلته مباشرة من تدابير مهمة، وهي مهمة ملحة في ظروف التحديات الاقتصادية الراهنة والوضع الإقليمي المعقد.

التقدمي

بمناسبة الأول من مايو – عيد العمال العالمي

المنبر التقدمي يحذر من تبعات السياسات الاقتصادية والاجتماعية المتبعة ويدعو لوحدة الحركة النقابية واستعادة دورها

يتقدم قطاع النقابات العمالية والمهنية في المنبر التقدمي بالتهاني الحارة لكل العمال والموظفين والكادحين في عيدهم، الأول من مايو، ويتمنى لهم سنة قادمة مليئة بالأنجازات والتقدم.

يمر هذا العيد، كما هو الحال خلال السنوات الأخيرة الماضية، دون المسيرة العمالية التي أطلقناها في العام ٢٠٠٢ وصارت تقليداً عمالياً وطنياً تعبر فيه القوى العمالية عن تطلعاتها وشعاراتها وتبين قضاياها وتوجهاتها، الا ان المسيرات منعت للسنة الخامسةًعلى التوالي دون مبرر مقنع.

شهدت الفترة الماضية هجمة شرسة على قوت ومقدرات الطبقة العاملة والمتقاعدين واصحاب الدخل المحدود، فبعد أن مرّرمجلس النواب المنصرم غير المأسوف عليه للحكومة قانون ضريبة القيمة المضافة، وهي الضريبة المباشرة الأولى التي تستهدف المستهلك وتستثني التجار، توالت التدابير والرسوم التي تنال من الأجور المتدنية للغالبية الساحقة من العمال والموظفين وشرائح الفئات الوسطى.

وشهدنا ايضا انقضاض الحكومة على مقدرات العمال ومستقبلهم الماثل في مستحقاتهم التأمينية من خلال استهداف صندوق التأمينات الاجتماعية، كما بدأت الحكومة العمل في تصريح العمل المرن الذي زُعم أنه جاء ليحل مشكلة العمالة غير النظامية – الفري فيزا – بينما لا يتجاوز دوره تحصيل الرسوم من العمالة المخالفة واعطائهم صكاً مفتوحاً للعمل في آلاف الوظائف دون الحاجة الى تصريح، ما أدى ويؤدي إلى مزاحمة العمالة الوطنية بشكل رسمي وقانوني وممارسة التجارة دون الحاجة لسجل تجاري ومزاحمة التجار وخصوصا أصحاب المهن البسيطة.

وللأسف الشديد فإن كل ذلك يتم في ظل ضعف أو حتى غياب دور الحركة النقابية ممثلة في إتحاديها، حيث نلاحظ تفتت الحركة النقابية المفتتة أساسا وإضعافها وتنازع النقابيين على المناصب وضعف دور الجمعيات العمومية وتقلص العضوية وصعوبات تحصيل الإشتراكات وركن الملفات العمالية الأساسية جانباً؛ وهذا نتاج طبيعي لما يحدث في اروقة النقابات والإتحادات، وتقاعسها عن أداء الدور المطلوب منها في هذه المرحلة بالذات حيث باتت الملفات المعيشية تؤرق قطاعات الشعب البحريني المختلفة، وتخلق أساساً موضوعياً لوحدة هذه القطاعات في النضال من أجل صون حقوقها.

ورغم استعادة تمثيل العمال مؤخراً في مجلس ادارة التأمينات الاجتماعية، إلا أن هذا التمثيل مشوه، ويشكل تراجعاً عما كان عليه قبل أزمة 2011، فهو يقسم المقاعد الثلاثة بواقع مقعد واحد لكل اتحاد، وثالثها لشخصية لاعلاقة لها بالعمال وهياكلهم النقابية التي ينتج منها محاسبة ممثليهم في مثل هذه المواقف، وهو انتقاص اكبر للوضع المنقوص أساساً الذي تسيطر فيه الحكومة على المجلس وقراراته من خلال تعيينها لمثليها وأيضا ممثلي العاملين في القطاع العام إضافة الى رئاسة المجلس.

وتستمر الحكومة في الإذعان لخطط صندوق النقد الدولي والبنك الدولي في فرض المزيد من الضرائب وفي التخلص من الموظفين تحت مسميات إعادة الهيكلة وتخفيض النفقات، ومحلياً عبر برنامج التوازن المالي وبشكل مباشر برنامج التقاعد المبكر لموظفي القطاع العام الذي حذّرنا منه ومن تبعاته على الموظفين والاقتصاد الوطني وعلى الخدمات العامة، إلى أن اتضحت الصورة بعدم وجود التمويل الكافي لتقاعد من دفعوا إلى التقاعد المبكر، والإنقضاض مجدداً على أموال العمال ممثلة في فائض صندوق التأمين ضد التعطل لكون العمال والموظفين هم المولين الأساسيين لتقاعد زملائهم، وأصبحت برامج الصندوق والبنك الدوليين تنفذ على حسابهم.

وقد نظمّ المنبر التقدمي وكتلته النيابية "تقدّم" عشرات الفعاليات المناهضة لهذا القانون وحاولنا استنهاض النقابات والاتحادات لتأخذ دورها، كما كنا من قبل أخذنا المبادرة، عبر سلسلة من الفعاليات والأنشطة، ضد التعديلات على قانون التأمينات، مما ساهم في نشوء حركة احتجاج شعبي واسعة ضدها، انعكست على موقف مجلس النواب السابق، الذي رفض مشروع القانون، بينما أقرّه مجلس الشورى، قبل أن يتدخل جلالة الملك ليأمر بإيقافه.

وقبل شهورٍ قليلة طرحنا في المنبر التقدمي وعبر كتلة "تقدّم" استبياناً للعاطلين عن العمل أظهر ومن خلال العديد الكبير للمشاركين فيه نتائج صادمة للمجتمع، من حيث أعداد العاطلين ومؤهلاتهم وتخصصاتهم، كما بدا واضحاً الاختلاف الشاسع بين نتائجه والبيانات التي تقدمها وزارة العمل عن ملف العاطلين.

هذا الإستبيان تمت ترجمته إلى حراك برلماني موسع أفضى إلى إجبار وزارة العمل على تعديل متطلباتها المتعنتة في تسجيل العاطلين عن العمل وتوسيع الشرائح المستحقة ورفع مستوى المستحقيحثات المالية للعاطلين وتعويضات التأمين ضد التعطل وغيرها من التعديلات المترابطة.

وبشكل متزامن تمّ طرح ملف البحرنة بشكل واسع عبر البرلمان بما يؤكد شعبية هذا الملف، بصفته أولوية وطنية، وأفضى ذلك إلى تشكيل لجنة تحقيق لازالت تؤدي دورها ونتمنى أن تنتج وبالتعاون مع جميع الأطراف حلولاً وتشريعات تلزم ببحرنة الوظائف، إلا أن موقف النواب من مسألة تمويل برنامج التقاعد الاختياري جاء مخيباً للآمال وتحت مبررات غريبة وغير منطقية شرّعت للإستيلاء على أموال العمال.

إن قطاع النقابات العمالية والمهنية في المنبر التقدمي يحث الحركة النقابية، عبر انحاديها والنقابات المنضوية تحتهما، إلى النهوض بالمهام والواجبات الكبرى الملقاة على عاتقها في هذا الظرف، ومن جانبنا نؤكد أننا سنبقى دافعاً ومسانداً لها بما نملك من طاقات وخبرات، من أجل بلوغ الأهداف المشتركة لعمال وكادحي بلادنا.

كما ندعو كل العمال وفي مقدمتهم القيادات العمالية في النقابات والاتحادات وجميع الهياكل العمالية إلى تجاوز خلافاتهم وتغليب المصلحة العامة للعمال والكادحين والعمل على إستعادة وحدة الحركة العمالية من اجل انتشالها من حالة الضعف والتهميش التي تمر بها.

وفي هذه المناسبة العمالية الوطنية والأممية نحذر من الإستمرار في السياسات الاجتماعية الاقتصادية المتبعة الخاضعة لسياسات وتوصيات البنك الدولي وغيره من المؤسسات وبيوت الخبرة الأجنبية المتمثلة في الخصخصة وزيادة الضرائب ورفع الدعم والتي تتجلى نتائجها في العديد من الدول بمزيد من المصاعب للكادحين وأصحاب الدخل المحدود ومزيد من عدم الاستقرار والأزمات الاجتماعية.

ونؤكد أهمية أن تكون هناك سياسات تشغيل يكون العامل البحريني هو محورها الأول، بحيث تؤمن له فرص وظروف عمل لائقة تساهم في استقراره وتطوره الوظيفي، وتمكنه من المساهمة في العملية الانتاجية اطول فترة ممكنة.

كما نطالب باتباع سياسة شفافة وحازمة في مواجهة الفساد وهدر الأموال العامة، والعمل على صيانة هذه الأموال وتوجيهها في استثمارات اجتماعية تعود بنفعها على المواطنين وتوفير فرص عمل لائقة لهم.

قطاع النقابات العمالية والمهنية
المنبر التقدمي
الأول من مايو ٢٠١٩

«التقدمي» يشيد بالأمر الملكي بتثبيت جنسية 551 من المحكوم عليهم

يرحب المنبر التقدمي بالأمر الملكي السامي الصادر عن صاحب الجلالة الملك حمد بن عيسى ال خليفة عاهل البلاد بتثبيت جنسية 551 محكوماً صدرت بحقهم أحكام بإسقاط الجنسية، والذي جاء استكمالاً لما نصت عليه المادة 24 مكرر من القانون رقم 58 لسنة 2006 من عدم نفاذ الحكم إلا بموافقة ملك البلاد.

إن المنبر التقدمي وهو يشيد بهذه المبادرة التي لاقت صدى واسعاً في نفوس المواطنين والرأي العام محلياً وخارجياً ليأمل أن تكون هذه المبادرة الملكية أساساً لمزيد من المبادرات والخطوات التي يمكن أن تفضي إلى انفراج أمني وسياسي حقيقيين من شأنهما تمتين الوحدة الوطنية وترسيخ نهج التفاهمات الوطنية وتقوية قدراتنا على مواجهة التحديات الاقتصادية والاجتماعية والمعيشية المتفاقمة وإعطاء دفعة جديدة للعملية الإصلاحية ينتظرها الجميع وتفتح آفاقا جديدة للعمل الوطني الديمقراطي.

كما يثمن «التقدمي» توجيه جلالة الملك الهادف إلى تعزيز إمكانات التطبيق الفعال لقانون العقوبات والتدابير البديلة وتوفير البرامج التأهيلية التي تتناسب مع الظروف الشخصية للمحكوم عليهم، وهو أمر أثلج صدور عشرات الأسر البحرينية، وأعطى هو الآخر زخماً لآمال بانفراجات ومبادرات من لدن جلالة الملك تعزز الأمن والسلم المجتمعي وتشكل إضافة جديدة في سجل حقوق الإنسان وتثبت أركان المجتمع البحريني.

ويدعو «التقدمي» جميع المعنيين إلى التطبيق المخلص والخلاق لهذه التوجهات بما يخدم الأغراض المرتجاة منها وفي مقدمتها معافاة الأوضاع السياسية والأمنية والاجتماعية في مملكة البحرين. كما يدعو كافة القوى والفعاليات السياسية والاجتماعية إلى تشجيع هذه التوجهات وتعزيزها.

المنبر التقدمي

٢١ إبريل ٢٠١٩

الميزانية : التوازن المالي والشفافية

نظّم ملتقى التقدمي بتاريخ 31 مارس 2019 ندوة بعنوان: «الميزانية– التوازن المالي والشفافية»، تحدّث فيها كل من الأستاذ شرف الموسوي رئيس جمعية الشفافية البحرينية والدكتور جعفر الصائغ الرئيس السابق لجمعية الاقتصاديين البحرينية .

جاءت ورقة الموسوي على شكل طرح مبادرات: المبادرة الأولى الشفافية في الميزانية العامة، والمبادئ التي تعتمد عليها، وأن يكون هناك تقييم يعمل إلى الميزانية في كل عام، وأشار إلى مؤشرات الشفافية المعتمدة من قبل منظمة الشفافية العالمية في تقييم البحرين، أما المبادرة الثانية فتتصل بالشفافية في الصناعة الاستخراجية.

وتناول رئيس جمعية الشفافية البحرينية بالشرح المبادىء التي تقوم عليها الميزانية العامة، وبينها: تقديم تقرير عام ويوضح فيه المعايير، ضمان الاستفادة، تقوية الرقابة، تعزيز أوسع لمكافحة الفساد، بناء الثقة في المؤسسات العامة، العمل على تقليل الخصومة بين المواطنين والحكومات، تحسين مناخ الاستثمار.

من جانبه طرح الدكتور الصائغ العديد من النقاط بشأن الميزانية على الدولة العمل بها، ومن ذلك مراجعة سياسة التقشف التي تتبع من قبل الدولة في الميزانية العامة، الوضع الاقتصادي الراهن،حيث نجد انخفاضاً في الإيرادات العامة بسبب التراجع في أسعار النفط، مراجعة الكثير من المصروفات، ممكن تسميتها بالتقشف وفرض الضرائب، كيفية تفاعل الدولة مع هذا الوضع المالي الصعب، الأداء الأهم في الدولة هي الميزانية العامة، فمن خلال هذه الأداء تتم معالجة الكثير من الأمور وتنفذ الدولة سياستها الاقتصادية لكي تقلل من ارتفاع الدين العام.

كما توقف عند أثر بقاء أسعار النفط منخفضة، فعندما ترتفع أسعار النفط يتحسن الوضع ويكون أفضل، مطالباً الدولة بإيجاد وسائل أخرى للإيرادات، كما أن الارتفاع المستمر في عدد السكان وبالأخص العمالة الوافدة، يتطلب العديد من الاحتياجات.

فضفضة

عيسى الدرازي

جودة التعليم وشمّاعة التقشف

اللافت إن تقارير هيئةُ جودة التعليم والتدريب ما فتأت تضع الشريحة الأكبر من المدارس الحكومية والخاصة على حد سواء في مراتب متفاوتة من تقدير «جيد» وحتى تقدير «غير ملائم» والقلة القليلة من المدارس تنجح في الحصول على تقدير «ممتاز». هذا التقييم تعودنا على قراءته دورياً حتى بات الأمر لا يعدو كونه إجراء روتينياً كآلية تقييم، بغية التقييم فقط.

آخر التقارير الدورية لهيئة جودة التعليم والتدريب تبين نتائجها التراكمية للدورة الثالثة لـ (203) مدرسة حكومية، حصول (30) مدرسة على تقدير: «ممتاز» و(39) مدرسة على تقدير: «جيد»، كما حصلت (68) مدرسة على تقدير: «مرض»، فيما حصلت (66) مدرسة على تقدير: «غير ملائم».

حساسية الموضوع هذه المرة تأتي كون هذا العام الدراسي يشهد في نهايته خروج أكثر من 3 آلاف مدرس وموظف في السلك التعليمي ضمن التقاعد الاختياري، وبحسب ديوان الخدمة المدنية فإن عدد الذين تمّ قبولهم في نظام التقاعد الاختياري بلغ 8025 متقاعداً من الوزارات والجهات الحكومية، وجاء العدد الأكبر من المقبولين من وزارة التربية والتعليم والذين وصل عددهم إلى 3634 متقاعدا بنسبة تصل إلى 45.2٪.

هذه المقاربة مهمة جداً من حيث العدد الكبير نسبياً الذي سيخرج فجأة ضمن التقاعد الاختياري وتقارير هيئة جودة التعليم والتدريب التي لا تعطي تقييمات تطمينية منذ نحو 10 سنوات حتى الآن. حيث نشرت صحيفة «البلاد» تقريراً عن أبرز ما احتواه تقرير هيئة جودة التعليم والتدريب جاء فيه بأن الهيئة قامت بثلاث دورات للمراجعات خلال الفترات (2008–2011) و(2011–2014) و(2015–2018) شملت جميع المدارس الابتدائية. وأبرز ما ساقه التقرير من ملاحظات هي تراجع تراجع أداء 15٪ من المدارس الابتدائية في دورة المراجعة الثالثة بالمقارنة مع أدائها في دورة المراجعة الثانية، فيما لم يتطور أداء 31٪ من المدارس الإبتدائية التي حصلت على تقييم أداء غير ملائم أو مرض.

تراجع مستويات المدارس الحكومية حسب تقارير هيئة جودة التعليم والتدريب يقابله خروج هذا الكم الكبير من المدرسين والعاملين في السلك التعليمي وعن وضوح آلية سد الفراغ الذي سيخلفه خروج هؤلاء، يضع علامات استفهام كبيرة حول مدى جدية السياسات الحكومية في العناية بقطاع التعليم، والاستثمار الجاد والفعال في المواطن البحريني عبر توفير أهم أساسيات النجاح وهو التعليم الفعّال والمنتج والذي على أثره ممكن أن تبنى كافة عناصر نجاح السياسات الأخرى الاجتماعية والاقتصادية وغيرها.

الصورة اليوم باتت أدكن مما سبق والحذر كل الحذر من التهاون في توفير التعليم والإستهانة بنوعية التعليم والتغاضي عن جودته وماهيته تحت ذريعة الشمّاعة الكبرى في البلد حالياً وهي التقشف.

المنبر التقدمي يطالب الحكومة باحترام الإرادة الشعبية والبرلمانية بمنع مجيء وفد صهيوني إلى البحرين

يُجدد المنبر التقدمي في البحرين الموقف الذي سبق أن أعلنه من قبل، وأكدّ عليه أيضاً في مؤتمره العام الثامن المنعقد في الخامس من إبريل الجاري؛ برفض مشاركة وفد إسرائيلي يزيد عدد أعضائه عن خمسين عضواً برئاسة وزير الاقتصاد في الدولة الصهيونية في مؤتمر رواد الأعمال الذي سينعقد في المنامة بعد أيام قليلة، بتنظيم من هيئة «تمكين» الحكومية.

وتأتي هذه «الإستضافة» لوفد من دولة ما زالت وستظل عدوة بالنسبة لشعبنا، كما لكل الشعوب العربية، طالما هي مستمرة في احتلال الأراضي العربية، ومنكّلة بالشعب الفلسطيني الشقيق، بعد أسابيع قليلة جداً على قرار الرئيس الأمريكي دونالد ترامب بأن «يهب» إلى إسرائيل هضبة الجولان السورية، التي احتلتها عام 1967، كما احتلت، يومها، شبه جزيرة سيناء المصرية، وأراضي الضفة الغربية وغزة الفلسطينية، بعد أن كان ترامب قد أعتبر القدس عاصمة أبدية لدولة الاحتلال ونقل سفارة بلاده إليها.

لقد عبّرت القطاعات الشعبية في البحرين، وكل القوى السياسية بكافة توجهاتها، فضلاً عن مؤسسات المجتمع المدني وقادة الرأي العام في البلاد عن إدانتهم لفكرة استضافة الوفد الصهيوني في المؤتمر المذكور، وانضم إلى هذا الموقف أعضاء مجلس النواب، الذين أصدروا بياناً بهذا الخصوص.

ولا يبدو مقنعاً لشعبنا ما نقل عن أوساط حكومية من أن مملكة البحرين لم تدعو الوفد المذكور للمشاركة في المؤتمر المذكور، فالجهة المنظمة والمستضيفة له هي جهة حكومية، وهي مساءلة أمام الشعب والبرلمان، لذلك فإننا ندعو الحكومة إلى احترام الإرادة الشعبية والنيابية الرافضة بشكل حازم وقطعي لمجيء الصهاينة إلى بلادنا تحت أي ذريعة أو حجة، ونحن على ثقة من أن هذه الدعوة هي محل اجماع وطني في البلاد كلها.

إن الوقت لم يفت بعد على أن تبادر الحكومة للإصغاء لإرادة شعبها، وتعلن وبكل وضوح عن رفضها لمشاركة وفد صهيوني في المؤتمر ولكافة صور التطبيع مع العدو، انسجاماً مع السياسة المعلنة للدولة، وللضمير الوطني والقومي، في استهجان التعامل مع الدولة التي ما زالت تحتل الأراضي العربية وتنكّل بالشعب الفلسطيني، وتواصل انتهاكها لقرارات الشرعية الدولية.

أستعيد مرة بعد مرة، كلام المفكر البحريني الدكتور علي فخرو الذي ألقاه قبل بضعة شهور في الجمعية البحرينية لمقاومة التطبيع حينما انتقد مواقف المهرولين، بل المتسابقين للتطبيع مع العدو بحجّة التكنولوجيا مرة، والاستثمارات مرة قائلاً: «ألا توجد استثمارات في العالم إلا الآتية من إسرائيل؟! ألا توجد تكنولوجيا في كل الدول المتقدمة إلا تلك التي تصنّعها إسرائيل؟!»... أستعيده وأستغرب هذه السرعة التي تتدافع المؤسسات الرسمية، وبعض المؤسسات الأهلية أيضاً في المنطقة للتعاطي مع العدو، بل وعلى مستويات رفيعة، وبصورة مقززة ورقيعة.

معلومٌ مدار الحديث، وهو المؤتمر العالمي لريادة الأعمال الذي تحتضنه مملكة البحرين خلال الفترة من 15-18 إبريل الجاري، الذي سيكون أحد أبرز ضيوفه وزير اقتصاد العدو، وأربع متحدثات صهاينة، ووفد يضم حوالي 50 صهيونياً...

ألا يثير هذا شيئاً في النفوس؟ ألا يحرّك الدماء في العروق؟ أليست هنا جلود تقشعر ونفوس تشمئز؟! دعكم من مكاتب مقاطعة إسرائيل الفاشلة والشكلية حينها، والتي انتهت إلى كونها مخازن وتم تسريح موظفيها... ودعكم من كون القضية الفلسطينية قضية عربية إسلامية مركزية بامتياز، إذ جرى ويجري تذويبنا في العالم وتمييع كل أشيائنا، بما فيها هذه «العقدة» التي ظلت تُدعك لسنين طويلة علّها تلين... دعكم من كل هذا، أفنتخلى عن الحقّ أينما كان؟ أيمكننا استقبال مجرمين في نظر الكثير من الدول والمنظمات والمجتمعات على مستوى العالم، ونحن من يسبغ على أيديهم مياه الخليج المالحة لعلها تطهر من دماء الأبرياء على مدى أكثر من سبعين عاماً؟

هذا التسارع في التطبيع، وإدخال الصهاينة علينا من كل باب في دولنا، وبحجج فجّة، اقتصادية مرّة، وثقافية مرّة، وعلمية مرّة، ورياضية مرّة، إنما يُراد منه إنهاك الصفوف شبه المرصوصة، وإحباط عزائمها مقابل البيانات التي نصدرها عند كل زيارة، فالقدم الصهيونية – ويا للعار – تدعس على بياناتنا وتتخذها ممسحة عند أبواب مؤسساتنا الرسمية التي تستقبل أفواجهم بأذرع مفتوحة... حراك ممنهج لإدخال وعي شعوب المنطقة في دُوار وغيبوبة حتى لا تستطيع أقدامها أن تحملها على الوقوف إزاء هذه المخططات الواضحة المعالم.

إذا كان سيدنا موسى قد أمره ربه وضرب بعصاه البحر فانشقّ كالطود العظيم وأنقذ بني إسرائيل من فرعون، فمن ربّ هذه المؤسسات التي يأمرها بضرب مجتمعاتنا لتمرير المشروع الصهيوني وإنقاذ المجرمين من نقمة الإنسانية على ما ارتكبوه من فظاعات؟!

المنبر التقدمي يتضامن مع الشعب السوداني وقواه التقدمية والوطنية

يحيي المنبر التقدمي في البحرين انتفاضة الشعب السوداني الشقيق من أجل الديمقراطية والمشاركة الشعبية في إطار دولة مدنية، ضد الديكتاتورية والفساد، ممثلة في نظام حكم الإخوان المسلمين الذين اختطفوا السلطة وأحكموا سيطرتهم الحديدية على البلاد طوال ثلاثين عاماً، وهي الانتفاضة التي أجبرت الرئيس السابق على التنحي يوم أمس، بعد عدة شهور من الاحتجاجات الشعبية التي انطلقت في الثالث عشرمن ديسمبر 2018 .

ورغم عزل رأس النظام الذي جثم على مفاصل السلطة لازال الشعب السوداني لم يحقق بعد تطلعاته المنشودة رغم كل التضحيات التي بذلها والدماء الزكية التي سفكت وقرابين الشهداء التي قدّمها من أجل الكرامة والحرية .

إننا نعلن تضامننا مع القوى التقدمية واليسارية والوطنية السودانية، ووقوفنا مع ما طرحه اعلان قوى الحرية والتغيير في السودان، بالتمسك بالحراك الجماهيري حتى تحقيق الاهداف التي خرج السودانيون إلى الشارع مطالبين بها، ومنع اي التفاف على انتفاضتهم، حتى ازاحة القيادات العسكرية التي تسلمت السلطة في انقلاب، بغية اجترار التجارب السابقة في الإنفراد بالسلطة.

كما يؤكد المنبر التقدمي دعمه لمطلب الشعب السوداني وقواه الحية في تسليم السلطة من القيادة العسكرية إلى مجلس مدني يزكيه الشارع السوداني بكل أطيافه ومكوناته، ويعبر عن طموحه وآماله وتطلعاته نحو الحرية والتغيير، مؤكدين على ضرورة الحفاظ على أمن السودان ووحدة أراضيه، وصونه من أي انزلاق نحو العنف.

١٢ إبريل ٢٠١٩

ملتقى التقدمي الأسبوعي يتناول رفض الشعوب العربية للتطبيع والصهيونية

اعتبر الأستاذ عبدالرسول عاشور نائب رئيس الجمعية البحرينية لمقاومة التطبيع مع العدو الصهيوني الحركة الصهيونية هي الخطر الأكبر على الإنسانية، وهو يتناول نشأة هذه الحركة في مؤتمر بازل بسويسرا في أغسطس 1897، على يد اليهودي النمساوي تيودور هرتزل، الذي عمل على تجسيد واقع الصهيونية كحركة من خلال ايجاد أرض لها، فكانت فلسطين، حيث جرى تشجيع اليهود على الهجرة لها.

فيما تناول الأستاذ علي زاهر الإداري في رابطة شباب لأجل القدس، حركات المقاطعة في العالم ضد المتعاونين والمتعاملين مع الكيان الصهيوني، مؤكداً أن المقاطعة توجع الاحتلال ويجب ان تستمر.واستعرض زاهر مظاهر رفض التطبيع، في بعض البلدان العربية وفي مجالسها النيابية، وبينها البحرين،الأردن، المغرب وغيرها، مشيراً بشكل خاص ألى حركة رفض التطبيع في دولة الكويت الشقيقة، حكومةً وشعباً.

جاء ذلك في الندوة التي أقامها ملتقى التقدمي الأسبوعي بتاريخ 14 إبريل 2019 بعنوان: "الشعوب العربية ترفض التطبيع والصهيونية"، والتي جرى فيها تناول المخططات الصهيونية وأهدافها، سواء كانت دينية أم سياسية، علاقة الماسونية بالحركة الصهيونية، باعتبار الأولى ذراعاً للثانية .

وطالب المشاركون في الندوة بدعم وتقوية حركات مناهضة التطبيع في البلدان العربية، وأن تسن البرلمانات، بما فيها البرلمان البحريني، تشريعات تحظر التطبيع مع العدو الصهيوني، خاصة مع استفحال مخطط تهويد القدس وفلسطين كاملة من خلال تغيير أسماء المدن والقرى الفلسطينية، وتهجير وتشريد الفلسطينيين وإحلال اليهود مكانهم، والتوسع في بناء المستوطنات، وتوسيع دائرة الاعتراف بالكيان الصهيوني.

«التقدمي» يشارك في الحفل الخطابي لتجمع الوحدة الوطنية ضد زيارة الوفد الإسرائيلي

شارك الرفيق فاضل الحليبي عضو المكتب السياسي للمنبر التقدمي في الحفل الخطابي الذي أقامه تجمع الوحدة الوطنية في مقره، للتعبير عن رفض الشعب البحريني لزيارة كانت مزمعة لوفد إسرائيلي لبلادنا، للمشاركة في مؤتمر رواد الأعمال الذي نظمته هيئة «تمكين».

وألقى الرفيق الحليبي كلمة المنبر التقدمي في الحفل، التي أكد فيها ثقتنا بقدرة الشعب الفلسطيني

على إفشال المخططات الصهيونية والأمريكية الجديدة وفي مقدمتها مؤامرة صفقة القرن مثلما أفشل قبلها الكثير من المخططات والمشاريع التآمرية الهادفة لتصفية القضية الفلسطينية والقضاء على الحلم الفلسطيني في إقامة الدولة الفلسطينية المستقلة وعاصمتها القدس.

وقال في كلمته: "لماذا لا يسأل دعاة التطبيع والمهرولون إليه ما الذي سيجنونه من وراء تقديم التنازلات المجانية للعدو، وهو الذي لم يتوقف يوماً عن قتل أبناء وبنات الشعب الفلسطيني منذ سبعين عاماً».

وأكدّ الحليبي في كلمته: " نحن هنا لنضمّ صوتنا إلى أصوات كل أبناء وبنات شعبنا البحريني العربي الذي يرفض أن تطئ أقدام القتلة الصهاينة بلادنا وتدنس ترابه الوطني لحضور المؤتمر العالمي لريادة الأعمال من 15 إلى 18إبريل عبر وفد صهيوني كبير يرأسه أحد أعضاء الحكومة الإسرائيلية».

الخليج العربي ومحنة العمالة الوطنية

جواد المرخي

حسب إحصائية تعود لعام 2018 فإن عدد سكان دول الخليج قد بلغ حوالي سبعة وعشرين مليون نسمة، غالبيتهم من العمال الأجانب، وهناك مقالة في صحيفة «الشرق» بقلم د. قاسم حسين تشير إلى أن حجم العمالة الأجنبية في الخليج يمثل 87 في المئة من اجمالي قوة العمل في بلدان المنطقة، ويرى الكاتب أن هذا مؤشر مثير للقلق اجتماعياً واقتصادياً؛ في حين بات الكل مدركاً لحجم مخاطر الافراط في توظيف وتوطين العمالة الأجنبية في دول الخليج، بحيث تتحول إلى عمالة ثابتة، مما يزيد من حجم تهميش العمالة الوطنية ويضاعف البطالة ومنسوب الفقر في دول الخليج.

وقد علت في الآونة الأخيرة أصوات رجال أعمال خليجيين تندد بهيمنة رأس المال الأجنبي على مفاصل التجارة في الخليج، بعد ان تمكن من منافسة التاجر الخليجي بقوة، ومن هؤلاء رجل الاعمال البحريني سمير ناس رئيس مجلس إدارة غرفة الصناعة والتجارة، الذي انتقد هيمنة التجار الأجانب في البحرين على اغلب المؤسسات الصغيرة بنسبة 80 في المئة، موضحاً أن نظام التصريح المرن قد ساهم في رفع هذه النسبة، مطالباً بأن ينحصر دعم هيئة «تمكين» على المواطن البحريني فقط، للحد من تبعات هيمنة رأس المال الأجنبي، ما أدى فعلياً إلى تهميش للطبقة العاملة، لا بل والطبقة الوسطى والتي باتت تتحلل جراء الإفلاس لعدم قدرتها على منافسة هيمنة الأجانب.

تضاف إلى ذلك عملية التجنيس العشوائي للوافدين ومنها العمالة البسيطة جداً التي لا يستفيد من خدماتها لا الوطن ولا المواطن ولا الاقتصاد الخليجي، مما يلحق المزيد من التشويه الجذري للتركيبة السكانية في دول الخليج بعد ان تتراجع مكانة اللغة العربية.

أما الخطر القادم الحقيقي ومع ممارسة نهج توظيف وتوطين وتجنيس العمالة الأجنبية في الخليج وهيمنتها على مفاصل العمل والتجارة، فإنه لن يكون بعيداً اليوم الذي يصدر فيه قرار سوف يأتي يوماً قرارٍ أممي بضرورة مشاركة الأجانب في وضع السياسة الخليجية بعد هيمنتهم على السياسة الاقتصادية والاجتماعية. حينها سوف تصبح المجالس التشريعية منها النيابية المنتخبة والشورية والمجالس البلدية بأيدي الوافدين من غير أبناء المنطقة، الذين سيتحكمون في مفاصل القرار السياسي الخليجي، وما سيترتب على ذلك من تبعات ليس أقلها خطراً المساس بالهويات الوطنية والثقافية لبلدان المنطقة.

تحت شعار:«نحو نهج يستنهض الحياة السياسة ويحمي حقوق المواطنين»

انعقاد المؤتمر العام الثامن للمنبر التقدمي

تحت شعار:«نحو نهج يستنهض الحياة السياسة ويحمي حقوق المواطنين»، عقد المنبر التقدمي مؤتمره العام الثامن صبيحة يوم الجمعة الموافق الخامس من إبريل/ نيسان الماضي، بحضور طيف واسع من الشخصيات الوطنية وممثلي القوى السياسية ومؤسسات المجتمع المدني، إضافة إلى وفدين يمثلان الحركة التقدمية في الكويت برئاسة الرفيق أحمد الديين، الأمين العام للحركة، والمنبر الديمقراطي في الكويت برئاسة الرفيق علي العوضي نائب الأمين العام للمنبر.

انتخب المؤتمرون ٢٥ رفيقاً ورفيقة حسب ما ينص النظام الداخلي للتقدمي

واستمع أعضاء المؤتمر إلى كلمات الضيوف التي وجهت التحية لنضال المنبر التقدمي ودوره السياسي، وكذلك إلى برقيات التحية التي تلقاها المؤتمر من قيادات عدد من الأحزاب الشقيقة في البلدان العربية.

وناقش المؤتمر خلال ساعات تقارير اللجنة المركزية السابقة ومكتبها السياسي، واللجان المتخصصة المنبثقة عنهما وأقرّها، كما اتخذ جملة من القرارات والتوصيات لترفع للجنة المركزية الجديدة، التي جرى انتخابها في نهاية أعمال المؤتمر، فمن أصل 35 مرشحاً لعضوية اللجنة، انتخب المؤتمرون 25 رفيقاً ورفيقة، حسب ما ينص النظام الداخلي للتقدمي، كما اختاروا الرفاق الخمسة الذين حلوا تالياً في عدد الأصوات أعضاء احتياط للجنة المركزية.

اللجنة المركزية تجدد الثقة في الرفيق خليل يوسف أميناً عاماً وتنتخب مكتبها السياسي

عقدت اللجنة المركزية المنتخبة من المؤتمر العام الثامن اجتماعها الأول لانتخاب الأمين العام للمنبر التقدمي ونائبيه للفترة المقبلة، وتشكيل المكتب السياسي الجديد.

وقد جدّد أعضاء اللجنة المركزية، وبالإجماع، الثقة في الرفيق خليل يوسف ليصبح أميناً عاماً للتقدمي في الدورة الجديدة، كما انتخبوا الرفيق المحامي عادل المتروك أميناً عاماً مساعداً للعلاقات السياسية الداخلية والخارجية، والرفيقة دينا جاسم الأمير أميناً عاماً مساعداً للشؤون التنظيمية.

وجرى انتخاب بقية أعضاء المكتب السياسي وهم الرفاق والرفيقات: علي حسين محمد، فاضل الحليبي، إيمان شويطر، وليد باقر، خديجة الصايغ، حسين مهنا، محمود ربيع، حسن الغنّام.

الرفيق خليل يوسف في افتتاح المؤتمر العام الثامن:

صـوتنـا الوطنـي حضـر

استهل الرفيق خليل يوسف، الأمين العام للمنبر التقدمي، كلمته في الجلسة الافتتاحية للمؤتمر العام الثامن لمنبرنا التقدمي بالقول: "ينعقد المؤتمر الثامن للمنبر التقدمي هذا اليوم تحت شعار "نحو نهج يحمي حقوق المواطنين ويستنهض الحياة السياسية"، وهو شعار يعبرعن نهجنا ونهج الحركة الوطنية في البلاد في التصدي للعراقيل والمتغيرات والتحديات غير المسبوقة فى ضراوتها والتى نواجهها، وتمسّ الحريات والعدالة الاجتماعية وحقوق المواطنين وتعيق السير نحو الحياة الديمقراطية التى ننشدها، الأمر الذى يفرض التشديد على وجوب استنهاض الحياة السياسية والتخلى عن كل أشكال ومحاولات إضعاف هذه الحياة، مع إطلاق ديناميات سياسية واجتماعية تعيد الوهج للمشروع الاصلاحي الذى انطلق فى عام 2001".

وقال الأمين العام: "إضافة إلى ذلك، فإن شعار مؤتمرنا هذا معبر عن ما ينتظر المنبر التقدمي، ومعنا كل القوى الوطنية، من مضاعفة الجهود لمواجهة ما بتنا نعانيه من تراجعات وتضييق على العمل السياسي، بالتركيز على الأهداف الوطنية الكبيرة التى تكتسب أسمى معانيها عندما تغدو إحساساً بالواجب وشعوراً بالمسؤولية.

ولعل احد أبرز الأوجه لإدراك المنبر التقدمى لهذه المسؤولية ما تجلى فى خوضه معركة الانتخابات البرلمانية الأخيرة تحت قائمة "تقدّم"، وتبنيه برنامجاً انتخابياً منبثقاً من الثوابت والوحدة الوطنية، برنامجاً يتوخى الانتقال بالوطن الى مرحلة جديدة بعيداً عن كل أشكال ومظاهر التفرقة والتمييز والطائفية، تؤدي إلى تحريك عجلة الاصلاح الحقيقي والفاعل لمبادئ ميثاق العمل الوطنى ولتطلعات شعب البحرين نحو الديمقراطية

وترسيخ دولة القانون، مبدين كل الاعتزاز بصوت "تقدّم" الذى دوّى فى اربع دوائر انتخابية، واصداؤه الإيجابية عمت البحرين، وبما حققته الكتلة من فوز مشرّف فى هذه الانتخابات، مما يمكننا من القول إننا نجحنا في صورة من الصور بتحقيق الشعار الذي خضنا الانتخابات تحته، وهو: "ليكن الصوت الوطي حاضراً".

وأكدّ الأمين العام في كلمته: "نعم، صوتنا الوطنى حضر فى الوطن كله من خلال الطرح الوطنى فى فترة الانتخابات، وحضر من خلال برنامج وطنى شامل غطى كافة المحاور السياسية والاجتماعية والاقتصادية، والانحياز إلى قضايا الناس المعيشية وهمومهم ومعاناتهم وتطلعاتهم نحو حياة أفضل، ومن خلال هذا البرنامج، وهذا الطرح الوطنى البعيد عن أي اصطفاف طائفي او عرقى، أسمعنا الجميع الصوت المختلف، المسؤول، الواعي، والمدافع عن حقوقهم، حقوق فئات الشعب الكادحة من عمال وموظفين وحرفيين ومتقاعدين، استمراراً للنهج الذي سار عليه التيار الذي يمثله المنبر التقدمي، منذ أكثر من ستة عقود، ونعني به تيار جبهة التحرير الوطني البحرانية".

وحول الوضع الراهن في البلاد قال الأمين العام: «ليس من مصلحة البلاد ومستقبلها على كافة الصُعد، السياسية والاقتصادية والاجتماعية، وكذلك على سمعة البحرين على الصعيد الحقوقي العربي والدولي، استمرار الوضع الراهنً بسبب غياب مبادرة جدية للحل السياسي من قبل الدولة، وهذا لن يتم إلا عبر حوار وطني جدي وشامل يعود بنا إلى روح ونص ميثاق العمل الوطني ببناء الملكية الدستورية التي تتطلب وجود سلطة تشريعية منتخبة كاملة الصلاحية، ونظام انتخابي ديمقراطي عادل وشفاف بتوزيع منصف للدوائر، وإصلاح الإعلام وتحريره من الهيمنة الحكومية وتطوير النظامين القضائي والأمني».

مؤكداً على إن «جوهر الأزمة في البحرين هو جوهر سياسي بالدرجة الأولى، ومن هنا مسؤولية الدولة والقوى السياسية والمجتمعية المختلفة في دفع البلاد نحو طريق الحل السياسي، الذي يراعي التعقيدات الإقليمية المحيطة، والتجاذب السياسي الداخلي، للاتجاه ببلادنا نحو آفاق رحبة من التسامح والعيش المشترك، ووقف العنف وكافة الانتهاكات، والابتعاد عن تشجيع سياسة التنافر المذهبي والطائفي والتأسيس لواقع ومستقبل جديدين».

أحمد الديين : نستند إلى تاريخ طويل وممتد من العلاقات الوثيقة بين تنظيمينا وشعبينا الشقيقيين

قال الرفيق أحمد الديين الأمين العام للحركة التقدمية الكويتية في كلمته أمام المؤتمر العام الثامن لمنبرنا التقدمي: نحن في الحركة التقدمية الكويتية عندما نشارك في الجلسة الافتتاحية للمؤتمر العام الثامن للمنبر التقدمي البحريني فإننا نستند إلى تاريخ طويل وممتد وواقع قائم ومستمر من العلاقات الرفاقية الوثيقة بيننا، تلك العلاقات التي تأسست على قاعدة الروابط المميزة بين الشعبين الشقيقين البحريني والكويتي، حيث نمت هذه العلاقات عبر التاريخ المشترك لبلدينا في التواصل المشهود بين الحركتين الوطنيتين في الكويت والبحرين، وتوطّدت على أسس نضالية وفكرية مشتركة منذ أواسط سبعينات القرن العشرين بين حزبينا الشقيقين ورفاقنا في كل من جبهة التحرير الوطني – البحرين وحزب اتحاد الشعب في الكويت، الذي تمثّل حركتنا التقدمية الكويتية امتداده التاريخي، حيث يكنّ رفاقنا جميعاً التقدير الخاص لكم ولتاريخكم وتضحيات رفاقكم الشهداء الميامين ومعاناة مناضليكم الذين قاسوا الأَمَرَين من عذابات الاعتقال وشدائد النفي، مثلما يفخر رفاقنا جميعاً الآن بما حققته القوى والعناصر التقدمية البحرينية من نتائج ايجابية في الانتخابات النيابية الأخيرة أكدت أنّ المنبر التقدمي يمثّل اليوم قوة سياسية وطنية أساسية معتبرة في البحرين.

وأكدّ الرفيق الديين أن الحركة التقدمية الكويتية تدعم «نهج المنبر التقدمي البحريني وسعيه الدءوب من أجل تحقيق أماني شعب البحرين الشقيق في التقدم والرفاه والمشاركة الشعبية وبناء الدولة المدنية الديمقراطية وتحقيق المواطنة الدستورية المتساوية.

وفي تناوله للوضع الخليجي أكدّ الأمين العام للحركة التقدمية الكويتية قال: «إن شعوب بلدان الخليج العربية تواجه تحديات جدية مشتركة على مستويات عدة، من بينها إطلاق حرياتها العامة وتحقيق مشاركتها في إدارة شؤون بلدانها، وضرورة التعامل بجدية مع التحدي التنموي بوصفه قضية حيوية وأولوية خصوصاً في ظل اعتماد اقتصاداتنا الخليجية بشكل رئيسي على النفط كمورد وحيد ناضب ومتذبذب الأسعار.

كما يهمنا أن نؤكد على أهمية تعزيز صلات التقارب بين شعوب المنطقة ونأمل أن يتم تجاوز الخلافات الخليجية – الخليجية ومنع انعكاساتها السلبية من أن تمتد لتمس العلاقات الأخوية والاجتماعية بين شعوبنا، مع تكرار دعوتنا إلى ضرورة تحقيق أشكال من التواصل الحيّ بين القطاعات الشعبية في بلدان الخليج العربي والتيارات السياسية الوطنية والتقدمية ومؤسسات المجتمع المدني والناشطين الحقوقيين.

علي العوضي : نجاحاتكم الانتخابية ليست مجرد حالة بحرينية بل تعبير عن النهوض الوطني والتقدمي في المنطقة

عبّر الأمين العام المساعد ورئيس المكتب السياسي في المنبر الديمقراطي الكويتي الأستاذ علي حسين العوضي في كلمته أمام المؤتمر العام الثامن للمنبر التقدمي عن التهنئة الصادقة للتقدمي بعد النجاح الكبير الذي تحقق لمرشحيه الممثلين للاتجاه الوطني والتقدمي في الانتخابات النيابية الأخيرة، بداية من خوضكم للانتخابات، ومن ثم تحقيق نتائج بارزة ولافتة في مختلف الدوائر، مؤكداً أن «هذا النجاح لا نعتبره نحن في المنبر الديمقراطي الكويتي حالة بحرينية مجردة، بل هي حالة للنهوض الوطني والتقدمي في منطقة الخليج العربي، وأن نقطة عودة القوى الوطنية قد انطلقت من هذا البلد العزيز علينا جميعا».

وأضاف العوضي: "عندما نبحث عن النهج الذي يحمي حقوق المواطن، فإننا نطرق أبواب كافة الجهات المعنية بهذا الشأن حتى تعمل على الدفع بها وتكريسها والحفاظ عليها بما يسمح بتطويرها دون الانتقاص منها ليتمكن المواطن من ممارسة الأدوار المناطة به. وعندما نتحدث عن الجهات المعنية فإننا نعني تضافر جهود السلطتين التنفيذية والتشريعية، ومن ورائهما حالة من الوعي الشعبي لحماية هذه الحقوق، وفي مقدمتها حرية التعبير والرأي وفق الأطر الدستورية، والمساواة والعدالة الاجتماعية، وهي باعتقادنا تمثل المسار الأول لتصحيح الأخطاء ومدخلا أساسيا للإصلاح العام وفق برامج تنموية رائدة.

وأكّت كلمة المنبر الديمقراطي الكويتي على أن هناك "تحديات كبيرة ومتشعبة تواجه بلداننا في الخليج العربي، فنحن نعيش في إقليم ملتهب، تتقاذفه الصراعات من كل اتجاه، وهناك أيضا التحديات الاقتصادية والتنموية، وغيرها، والوقوف أمامها والتصدي لها يستلزم نهجا يحمي حقوق المواطن حتى يكون اليوم مساهما في عمليات صنع القرار ومتحملا لمسؤولياته الوطنية.

وشدّدت الكلمة على "أن الأنظار تتجه اليوم نحو كافة القوى الوطنية والتقدمية لتأخذ موقعها وتستعيد عافيتها، فهي الأصدق والأقدر على حمل البرنامج الوطني بما يخدم تطلعات شعوبنا".

عبد الصمد النشّابة: شعار مؤتمركم يجمع بين المطالب السياسية والمعيشية للمواطنين

خاطب الرفيق عبد الصمد النشابة، الأمين العام لجمعية التجمع القومي مندوبي المؤتمر العام الثامن للمنبر التقدمي بالقول: «إن شعار مؤتمركم «نحو نهج يحمي حقوق المواطنين ويستنهض الحياة السياسية» يجمع بحق بين دفتيه المطالب المعيشية والسياسية للمواطنين، حيث لا يخفى عليكم أن الأزمة التي اندلعت شرارتها في فبراير 2011 أثر التحركات الجماهيرية الواسعة المطالبة بالإصلاحات الديمقراطية لا تزال قائمة بكافة تداعياتها».

ودعا الرفيق النشابة في كلمته السلطة في البحرين إلى ضرورة اتخاذ العديد من القرارات العاجلة والعادلة التي من شأنها تبريد الأجواء ووقف المعالجات الأمنية والتنفيذ الأمين لتوصيات اللجنة المستقلة، كذلك القرارات التي من شأنها تصحيح المسار الراهن سياسياً واجتماعيا وأمنيا، والدخول في مسار الحوار الوطني والمصالحة الوطنية اللذين باتا ضرورة يفرضها الواقع المأزوم من أجل الوصول إلى حياة سياسية واجتماعية أكثر عدلاً واستقرارا وقادرة في ذات الوقت على إعادة الروح إلى ميثاق العمل الوطني القائم على مبدأ الشراكة والمواطنة والعدالة والمساواة».

وحول حماية الحقوق المعيشية والاقتصادية، وهي الشق الآخر من شعار المؤتمر الثامن للمنبرالتقدمي، قال الأمين العام للتجمع القومي: «هي مهمة لا تقل خطورة عن الشق الأول، حيث أننا نرى ونلمس لمس اليد التراجع الكبير في هذه الحقوق. فبعد برنامج الحكومة التي تخلى عن الكثير من المحاور السياسية والاقتصادية والاجتماعية التي يعاني منها المجتمع واكتفى بالحديث عن هدف تحقيق التوازن المالي وتم تمريره ومباركته من قبل البرلمان، جاءت الميزانية لتجسد على أرض الواقع وبالأرقام السياسات النيوليبرالية التي بشر بها البرنامج الحكومي، حيث تتلاشى على أرض الواقع ملامح دولة الرعاية لتحل محلها دولة الجباية. وتعكس الميزانية تراجع دور الدولة في دعم الأنشطة الخدمية الأساسية للمواطن مثل الصحة والتعليم والإسكان.

وانتقد الرفيق النشابة «تحول دور الدولة إلى منظم للاقتصاد وليس مشاركة فيه ، والذي جاء بالتزامن مع قرارات تنظيمية لمصلحة المستثمر الأجنبي مثل تملك السجلات التجارية ولمصلحة العامل الأجنبي مثل الفيزا المرنة أكثر مما جاءت لمصلحة التاجر المحلي والعامل المحلي.

كما أكدت كلمة التجمع القومي على «ضرورة قيام تنسيق وتحالف بين التنظيمات الوطنية الديمقراطية، نظرا للكثير من القواسم المشتركة بين هذه التنظيمات، وكون هذا التحالف سيسهم في معالجة القصور في العمل السياسي والارتقاء به إلى مستويات أعلى وأنضج، والخروج من البيئة الطائفية الموبوءة. بل إن هذا التحالف إذا ما تحقق سيكون أكبر عون في استنهاض الحياة السياسية والدفاع عن حقوق المواطنين».

رئيسة الاتحاد النسائي البحريني:

نطالب بتدعيم السياسات اللازمة لتمكين المرأة

عبرت الأستاذة بدرية المرزوق رئيسة الاتحاد النسائي البحريني عن تمنياتها للمؤتمر العام الثامن للمنبر التقدمي، في الكلمة التي ألقتها باسم الاتحاد في الجلسة الافتتاحية للمؤتمر، وأشارت إلى أن الاتحاد النسائي البحريني قد اطلع منذ تأسيسه في سبتمبر 2006 بكافة الملفات التي تهم المرأة البحرينية ودافع عن حقوقها في جميع المحافل المحلية والدولية، ولازال يواصل الجهود لتعزيز سياسات وبرامج وآليات تعزيز حقوق المراة والاستمرار في سن القوانين وتدعيم السياسات اللازمة لتأمين مكانة المرأة وتعزيز مبدأ المساواة بين الجنسين في اطار منظومة حقوق الإنسان.

وقالت الأستاذة المرزوق: «من منطلق إيمان الاتحاد النسائي بأهمية دور المرأة في التنمية الاقتصادية فإنه يطالب بالمساواة بين المرأة والرجل على صعيد العمل ومعالجة كافة العقبات التي تنال من حقوق المرأة العاملة وحق المرأة في العمل والعمل اللائق واستيعاب جميع العاطلات في وظائف تناسب تخصصاتهن، كما يدعم ويطالب توحيد المزايا والأجور والمكافآت في القطاع الخاص»، مشيرة إلى أن «الإناث يتصدرن غالبية العاطلين ونسبة الإناث العاطلات في ازدياد وهناك احصائية تشير إلى أن 85٪ من العاطلين هن من الإناث ولذلك نامل من كافه الجهات المسؤولة عن العمل استيعابهم في الوظائف التي تناسب تخصصاتهن، وكذلك تمكين المرأة من المراكز القيادية في الشركات أسوة بالرجل وهذا ما يتناغم مع الهدف الخامس في أهداف التنمية المستدامة وهو تحقيق المساواة بين الجنسين».

وطالبت رئيسة الاتحاد النسائي البحريني في كلمتها برفع كافة تحفظات مملكة البحرين على اتفاقية القضاء على اشكال التمييز ضد المرأة التي صادقت عليها المملكة، خاصة وأن هناك دول اسلامية قد رفعت جميع تحفظاتها مما يدعونا للحدو بتجاربها للارتقاء بوضع المرأة».

رئيس الإتحاد العام لنقابات عمال البحرين:

نحيي مواقف كتلة «تقدّم» من الملفات العمالية

النقابي حسن الحلواجي رئيس الاتحاد العم لنقابات عمال البحرين رأى في كلمته أمام المؤتمر العام الثامن للمنبر التقدمي أن في مشاركة الاتحاد في المؤتمر تأكيد "على عمق التعاون بين الاتحاد العام مع منظمات ومؤسسات المجتمع المدني الذي لا غنى عنه من أجل حركة نقابية حقيقية ومناضلة تعمل من أجل المصلحة العمالية والمصلحة الوطنية بشكل عام.

وحيا الحلواجي «مواقف نواب كتلة «تقدّم» من الملفات العمالية؛ مؤكداً أن يد الاتحاد العام ممدودة للعمل مع كل الكتل التي تتبنى الدفاع عن حقوق ومكاسب االطبقة العمالية. كما حيا موقف النواب، وعلى رأسهم نواب كتلة "تقدّم" "الذين رفضوا مشروع تمويل التقاعد الاختياري من أموال صندوق التأمين ضد التعطل، مؤكداً أن الاتحاد العام يعبر عن موقف عمال البحرين في رفض كل مساس بقانون التأمين ضد التعطل رقم 78 لسنة 2006 وكل محاولة للانتقاص من مزاياه المقدمة للعاطلين أو النيل من احتياطي الصندوق تحت أي مبرر».

وبيّن الحلواجي: "أن القانون لا يمكن أن يسمو عليه قرار ولا أن يعدّل إلا بمزيد من التقدم في مزايا المتعطلين وليس العكس خصوصا وأن برنامج التقاعد الاختياري لم يمرر على مجلسي النواب والشورى ولم يتم التشاور بشأنه مع الطرف العمالي، لذا نستغرب أن تتحمل السلطة التشريعية مسؤولية برنامج هي لم تشارك في صياغته ولا حتى إقراره.

على صعيد آخر قال الحلواجي إن الاتحاد العام يؤكد "بأن مشروع الوطني للتوظيف هو مسؤولية يتشارك الجميع في انجاحها ولذا يجب أن يشارك أطراف الانتاج الثلاثة في هذا البرنامج وأن تكون جميع المعلومات والاحصائية شفافة ومتاحة للجميع وأن لا نتردد في اعلان الأرقام الحقيقة لطالبي العمل أو العاملين في القطاعين الحكومي والخاص». كما تطرق للموقف من تعديلات قانون التأمين الاجتماعي، مذكراً بموقف الذين ساندوا راي الاتحاد في التعديلات التي كانت مزمعا إدخالها على قانون التأمين الاجتماعي ومنهم نواب كتلة "تقدّم" قبل الانتخابات النيابية الأخيرة في مؤتمر التأمين الإجتماعي الذي نظمه الاتحاد.

وقال: "كان لنا معا موقف رافض لأي تعديل باعتبار أن تحميل المؤمّن عليهم أعباء أية "عجوزات" إن وجدت هو أمر مرفوض، كما نتمسك بأن أي تعديل يمس مميزات وحقوق المؤمّن عليهم يجب ألا يمر تحت أية ذريعة أو مبرر من بوابة السلطة التشريعية».

المؤتمر العام الثامن للتقدمي يكرّم الراحل جاسم مراد

كرّم المؤتمر العام الثامن للمنبرالتقدمي الشخصية الوطنية البارزة الراحل جاسم مراد، الذي رحل عن دنيانا مؤخراً، بعد حياة حافلة مشرفة بالمواقف الوطنية للرجل الذي بدأ حياته السياسية بالإنخراط، وهو شاب، في هيئة الاتحاد الوطني في خمسينات القرن الماضي، وانتخب عضواً في المجلس التأسيس الذي وضع أول دستور في تاريخ البحرين، كما دوى صوته الوطني في جلسات المجلس الوطني، البرلمان الذي انتخب في بداية السبعينات لكن الدولة سرعان ما حلته.

وظلّ جاسم مراد حتى آخر حياته متسقاً مع مواقفه الوطنية، وداعياً للدولة الوطنية الديمقراطية المدنية القائمة على المشاركة الشعبية الحقيقية والتنمية الرشيدة التي تحقق الحياة الحرة الكريمة، وفصل الدين والفئوية والقبلية عن السياسة.

وقام الرئيس الفخري للمنبر التقدمي المناضل الرفيق أحمد الشملان والأمين العام للمنبر التقدمي بتسليم درع التكريم لنجل الفقيد أحمد.

عبدالنبي سلمان يتحدث في مجلس بن نايم عن البحرنة

شارك النائب الأول لرئيس مجلس النواب النائب عبد النبي سلمان وعضو كتلة تقدم البرلمانية في ندوة حول بحرنة الوظائف في مجلس عائلة بن نايم بمدينة المحرق، مشاركاً زميله رئيس لجنة التحقيق في بحرنة الوظائف النائب ابراهيم النفيعي. علما ان قضية البحرنة قد اتخذت لنفسها حيزا مهما في مناقشات مجلس النواب مع بداية الدور التشريعي الأول من الفصل التشريعي الخامس، عبرطرح العديد من الأسئلة والحوارات والنقاشات الساخنة بين ممثلي الشعب والسلطة التنفيذية، نظرا لما تمثله هذه القضية من أهمية بالغة بالنسبة للشاريع البحريني في ظل الأوضاع الاقتصادية والمعيشية الصعبة.

وقد تركز الحديث خلال الندوة على التأكيد على جدية توجهات مجلس النواب بمختلف كتلة نحو ايجاد حلول عملية وسريعة لمعضلة البطالة في صفوف البحرينيين من الشباب والشابات على وجه التحديد، والتصورات والملفات التي تشتغل عليها لجنة التحقيق البرلمانية في قضية البحرنة، وطبيعة الزيارات والنقاشات الدائرة مع السلة التنفيذية وآفاق وتطلعات مجلس النواب نحو عمل تكاملي يقود لتوصيات ملزمة للعديد من القطاعات في القطاعين الخاص والعام من اجل احلال العمالة البحرينية خلال الفترة القادمة.

ويلتقي بالعاطلات من خريجات بمختلف التخصصات

وضمن لقاء موسع حضرته اعداد كبيرة من العاطلات عن العمل من خريجي العديد من التخصصات الأكاديمية والعلمية من مختلف مناطق البحرين، التقى عضو كتلة «تقدّم» عبدالنبي سلمان في مكتبه بالعاطلات في تخصصات مثل العلوم الاجتماعية والاحصاء والتاريخ والرياضيات والكيمياء والفيزياء وغيرها، من التخصصات العلمية، حيث عرضت العاطلات من الخريجين العديد من المصاعب والمعوقات التي تعترض طريقهن وما يرافقها من ممارسات إدارية غير منصفة للعديد منهن على ابواب الوزارات المعنية، حيث تطول معاناتهن لسنوات دون اي اكتراث من جانب المسؤلين في تلك الوزارات وكذلك في ديوان الخدمة المدنية.

وحضرت الصحافة المحلية جانباً من اللقاء الذي اتسم بطرح قضايا العاطلات من الخريجات، حيث افردت الصحافة بعدها تغطية للقاء مطالبة بايجاد حلول عاجلة ومنصفة للعاطلات، فيما وعدت كتلة «تقدّم" بمتابعة ملف العاطلات برلمانيا، مؤكدة على حق العاطلات في الجلوس مع لجنة التحقيق البرلمانية المعنية بقضية البحرنة لعرض مظلوميتهن، وقد باشرت الكتلة بتقديم ملف العاطلات موثقا بالعديد من الأسماء والتخصصات للجنة التحقيق من أجل اتخاذ ما يلزم من خطوات.

مطرقة البرلمان

تعاون السلطتين... طريق الخروج من الأزمات

عبد النبي سلمان

منذ افتتاح الدور الأول من الفصل التشريعي الخامس لمجلس النواب، بات لافتا حجم وتنوع القضايا التي طرحت حتى الآن أمام جلسات مجلس النواب التي لم تتجاوز بعد العشرين جلسة اسبوعية، حيث ترافقت تلك الجلسات مع العديد من الاجتماعات واللقاءات بين السلطتين التنفيذية والتشريعية.

المهم في الأمر ليس عدد أو تسارع تلك الجلسات واللقاءات، ولكن بالدرجة الأساس نوعية القضايا والملفات التي يتمّ بحثها وتداولها، ولكأن هناك شبه غياب طال أمده عن ملامسة العديد من القضايا الأساسية، والمطلبية منها خاصة. فقضايا الاسكان والبطالة والبحرنة وملفات الصحة والتعليم وتشوّهات سوق العمل والخدمات العامة وقضايا الفساد، كانت ولا زالت حاضرة بقوة في نقاشات مجلس النواب طيلة الشهور الأربعة المنصرمة من عمر المجلس.

ونستطيع تلمس ذلك من خلال العديد من الأسئلة الموجهة للحكومة والمتابعات اليومية ولجان التحقيق حول تلك القضايا والتي لازالت تبحث عن اجابات شافية، كان من المفترض أننا قد تجاوزناها منذ سنوات، على أن بقاءها عالقة دون حلول مقبولة، انما يؤشر على خلل مزمن لابد لنا كدولة من تجاوزه، إذا أردنا فعلاً أن نرتقي بأوضاعنا في المجالات المختلفة، خاصة وأنه المفترض أن نهتدي برؤيتنا الاجتماعية والاقتصاية المعلن عنها منذ اكتوبر 2008 والتي تحمل عنواناً يختزل جزءاً مهما من طموحاتنا نحو حياة أفضل قوامها العدالة والتنافسية والاستدامة.

ومن خلال متباعتنا في كتلة «تقدّم» للعديد من تلك الملفات نستطيع أن نجزم بأن ما ينقصنا أمران لا ثالث لهما، ألا وهما الارادة، والفعل الناجز، فقضية بحجم البطالة لا يمكن السكوت عن تداعياتها الخطيرة على المجتمع والدولة، حتى ولو افترضنا أن البرلمان في دورته المنفضة قد ابتسرها أو أنه لم يولها الجدية الكافية، فأين هو دور الدولة المعنية اساسا بالأمن الاجتماعي والاقتصادي والمعيشي للمواطنيين، ولماذا سمحت القوانين والقرارات الصادارة خلال الفترة الماضية بهذا التغول الظالم من قبل العمالة المهاجرة على حساب أبناء الوطن، فضلاً عن تداعياتها المالية المتعبة للاقتصاد البحريني المنهك أصلاً جراء الأزمة المالية العالمية وممارسات الفساد والتخبط في القوانين.

تشير الأرقام الرسمية إلى أن تحويلات العمالة الأجنبية من البحرين قد بلغت العام الماضي أكثر من 1.2 مليار دينار بحريني وهو مبلغ ضخم جداً مقارنة بحجم الاقتصاد الوطني، علاوة على وجود أكثر من 600 ألف عامل مهاجر أضحوا يحتلون بفعل التخبط وسوء الادارة وغياب الرؤية مواقع مهمة في سوق العمل البحريني، كان من الأولى أن يشغلها بحرينيون، فيما تكتفي الجهات الرسمية بالترويج لأرقام ونسب لايمكن ان يصدقها أحد.

وعلى الجانب الآخر تتخبط السياسات على اكثر من صعيد، فهناك تراجعات مخيفة في جودة التعليم ومخرجاته، وباعتراف صريح من جهات رسمية معنية بمراقبة جودة التعليم، فيما تنشغل وزارة التربية والتعليم باستفزاز الخريجين والخريجات من أبناء الوطن وتعطيل الإعتراف بمؤهلاتهم العلمية وبشكل مهين. وبالمثل هناك أزمة اسكانية تتراكم تداعياتها سنةً بعد أخرى دون بارقة امل للخروج منها نتيجة شح الأراضي والميزانيات وغياب جودة ما يقدم من خدمات اسكانية، والأمر ليس أفضل حالاً بالنسبة للخدمات الصحية التي باتت حديث الشارع البحريني.

تلك، إذاً صورة بانورامية لا تحمل على التفاؤل حيال العديد من أوضاعنا الاقتصادية والمعيشية والاجتماعية، لكنها حتما لا يجب أن تكون قدراً علينا الاستسلام له، وبإمكاننا بقليل من الارادة والتعاون الجاد والبنّاء بين السلطتين التشريعية والتنفيذية أن نتغلب على العديد من مصاعبنا تلك، شريطة أن تكون لدى الجميع رؤية واضحة نهتدي بها لتجاوز تلك المعوقات، واضعين أمامنا مستقبل الوطن والأجيال القادمة.

مجلس النواب يرفض إعلان ترامب

اعتبار الجولان جزءاً من الكيان الصهيوني

أكــدَّ مجلس الـنـواب رفضه وشجبه واستنكاره الـشـديـد بـشــأن إعــلان الـرئـيـس الأمـريـكـي أن مرتفعات الجولان السورية العربية المحتلة جـزءاً من أراضي الكيان الصهيوني الغاصب، ويعلن المجلس أن هذا الإعلان باطل وغير شرعي، ولا يغير أبـدا من حقائق الواقع والتاريخ، من أن الجولان أرض عربية سورية ستعود لأهلها.

وشدّد المجلس على أن إعــلان الرئيس الأمريكي يخالف الـقـانـون الـدولي وقــرارات الشرعية، ومن بينها القرار 497 الصادر عن مجلس الأمن الدولي عام 1981، الذي دعا إسرائيل إلى إلـغـاء ضم مرتفعات الجولان السورية، واعتبار قراراتها في الجولان لاغية وليس لها أي أثر قانوني.

ودعـا المجلس المجتمع الـبرلـمـاني الــدولي للتحرك العاجل والسريع، ومخاطبة منظمة الأمم المتحدة والدول والحكومات، لرفض إعلان الرئيس الأمريكي، والتأكيد على أن الجــولان أرضــ سورية عربية محتلة، وأن إعلان الإدارة الأمريكية لا يغير في وضعية الجولان القانونية، مشيدا المجلس بمـوقـف مملكة البحرين الـثـابـت والـراســـخ مع جمهورية سوريا الشقيقة، واحـترام سيادتها وحماية أراضيها وسلامة شعبها.

أكدت على أهمية التشاور بين كتل ونواب مجلس النواب حول مشروع الميزانية العامة

كتلة تقدم: خفض العجز والتوازن المالي لا يجب أن يكون على حساب المكتسبات المعيشية للمواطنين

أكدت "كتلة تقدم" البرلمانية على أهمية مشروع الميزانية العامة الذي يجري بحثه وتمحيصه حاليا من قبل لجنتي الشؤون المالية والاقتصادية بمجلسي النواب والشورى، نظرا لما للميزانية للعامة من أهمية في رسم معالم التوجهات الاقتصادية والمالية والمعيشة خلال العامين القادمين، خاصة بعد التوجيهات السامية الأخيرة لجلالة ملك البلاد حفظه الله بعدم أثقال المواطنين بأعباء لا قدرة لهم على تحملها، الأمر الذي يتطلب تحقيق المزيد من التشاور والحوارات الموسعة بشأنها بين لجنة الشؤون المالية والاقتصادية وجميع اعضاء مجلس النواب بالدرجة الاساس، خاصة بعد أن قدم العديد من النواب والكتل مرئياتهم للجنة. كذلك أكدت الكتلة على ضرورة التركيز جيدا من خلال المناقشات والحوارات المطلوبة بشدة على أبواب وموازنات رئيسة في الميزانية والتي من بينها المصروفات والاير ادات والمشاريع، وضرورة التفكير في خفض عجز الميزانية والتضخم الحاصل في الدين العام، والذي يؤكد ضرورة الوعي جيدا لأهمية رسم السياسات المالية خلال الفترة القادمة في ظل مشروع التوازن المالي القائم وشح موارد الدولة، وبما يتفق مع برنامج عمل الحكومة بالدرجة الأساس وضرورة زيادة الإيرادات العامة للدولة من خلال زيادة نسب عوائد وايـرادات الاستثمارات العامة، وضرورة تحقيق التوازن الفعلي بين التوجهات المالية القادمة وأهمية حماية المكتسبات الاجتماعية والخدماتية والمعيشية للمواطنين والتي تتطلب بطبيعة الحال تشاورا نيابيا اوسع حولها، علاوة على الاصرار على تحقيق المزيد من الشفافية والإفصاح بشأنها.

كتلة تقدم البرلمانية

١٨ أبريل ٢٠١

«تقدّم» تدعو إلى لقاء موسع للقيادات النقابية لتدارس الأوضاع

قالت كتلة «تقدّم» إن التشظي الحاصل في الحركة النقابية والعمالية قد أدى بالفعل إلى غياب الصوت العمالي عن العديد من القضايا التي شغلت الرأي العام في البحرين مؤخرا، كتلك التي تتعلق بأموال صندوق التعطل وما يجري من حوارات برلمانية ومجتمعية بشأن التصريح المرن وقضايا التمثيل العمالي العادل في مجالس إدارة بعض الهيئات ذات التمثيل الثلاثي، وغيرها من القضايا التي تدخل في صلب المطالب العمالية والنقابية.

وقالت الكتلة في بيانٍ بهذا الخصوص: «إن تفتيت الاتحادات العمالية والنقابات وغيابَ الصوت العمالي عن القضايا المطلبية الحقيقية وابتعاد العمال عن نقاباتهم بفعل تلك التداعيات السلبية الخطيرة سيضر حتما بحضور الصوت العمالي القوي وتأثيره في المشهد العام لصالح من يتربصون بمصالح العمال».

وختمت الكتلة بيانها بالدعوة إلى لقاء جامع وموسع للقيادات العمالية والنقابية في كلا الاتحادين العماليين، للحوار من أجل المشاركة في وضع رؤية عمالية مشتركة تعزز من موقع الاتحادات العمالية ولوضع التصورات والمبادرات لتقويم مسار العمل النقابي في البحرين ووضع الحركة العمالية مجددا على الطريق السليم، ومن أجـل التمسك بالمكتسبات وتعزيز دور الحركة العمالية والنقابية».

وقالت الكتلة إن هذه الدعوة نابعة من حرصها على وحدة الصف العمالي، وإنها على مسافة متساوية من الجميع في الاتحادات والنقابات العمالية.

درج المجلس على استشارة مؤسسات الجتمع المدني المعنية بالقوانين والاقتراحات وهذا ما لم نره اليوم

العنوان الثاني يصبح:

مواكبة التطورات اليومية وتطور العلوم يحتاج إلى تدريب مستمر

فلاح هاشم ينتقد تجاهل البرلمان لمرئيات الحركتين النقابية والنسائية

في مداخلته بالجلسة الثامنة عشر من دور الانعقاد الأول، انتقد النائب فلاح هاشم عضو كتلة «تقدّم» غياب مرئيات الاتحاد العام لنقابات عمال البحرين والاتحاد الحر لعمال البحرين، خاصة انهم يمثلون رسمياً اكبر شريحة مجتمعية وهم عمال البحرين هذا بالاضافة الى الاتحاد النسائي عند مناقشة مشاريع القوانين المصاغة بناء على إقتراحات برغبة من مجلس النواب بتعديل قانون التأمين الاجتماعي رقم 24 لسنة 1976 وقانون رقم 13 لسنة 1975 بشأن تنظيم معاشات ومكافأت التقاعد لموظفي الحكومة في مداخلة الهدف منها التأكيد على اشراك مؤسسات المجتمع المدني في ما يعنيها من قوانين.

وخاطب هاشم رئيسة المجلس بالقول: درج مجلسكم الموقر على إستشارة مؤسسات المجتمع المدني المعنية بالقوانين والاقتراحات المنظورة امام المجلس، وهذا ما لم نره اليوم، وأنا أعتقد أنه كان من الأولى بلجنة الخدمات على الاقل أن تطلع على مرئيات هذه المؤسسات في هذه التعديلات من باب المشاركة المجتمعية، ومشاركة المجتمع في عملية صياغة القوانين وعلى اساس تأصيل أن قرارات هذا المجلس تنبع من المجتمع وإليه، وأقترح بسحب المشروع لمزيد من الدراسة والاطلاع على مرئيات هذه المؤسسات».

درج المجلس على استشارة مؤسسات الجتمع المدني المعنية بالقوانين والاقتراحات وهذا ما لم نره اليوم

وفي جلسة أخرى يؤكد: تدريب الموظفين في مهب الريح

وعند مناقشة مشروع قانون المصاغ بناء على إقتراح برغبة من مجلس النواب بتعديل المادة 18 من قانون الخدمة المدنية القاضي بإلزامية تدريب جميع موظفي الحكومة بما لايقل عن 30 ساعة سنوياً، في الجلسة السابعة عشر للمجلس، ورداً على وزير المجلسين، قال هاشم إن ما تفضل به سعادة الوزير متطابق مع رأي هيئة التشريع والرأي القانوني، والذي تبنته الحكومة ايضاً في ردها في النقطة (3) بأن «توفير التدريب يرتبط بمقتضيات عدة، وعلى رأسها توفير الاعتمادات المالية».

وأوضح هاشم أن الاشكالية تكمن هنا، حيث أصبح التدريب في مهب الريح، فهناك إمكانية لأن يحرم منه الموظفون في أية لحظة، ونحن نعرف أن مواكبة التطورات اليومية وتطور العلوم يحتاج الى تدريب مستمر، وأن (30) ساعة تدريب ليست بالكثير، بل أنه من الواجب توفيرها لكل الموظفين في الحكومة بما فيها التدريب على رأس العمل، حيث يتطلب نقل الخبرات بين العاملين مما يساعد في تطوير الموظفين، فلايمكن تطوير موظفين دون خطة تدريبية، كما أن تقييم الموظف ينص على مدى إجتيازه للبرامج التدريبية، فكيف يتم تقيمه بدون برنامج تدريبي.

مواكبة التطورات اليومية وتطور العلوم يحتاج إلى تدريب مستمر

الفاسدون على أشكالهم يقعون ..!!

لا أحد يندهش أو يستنكر إذا دعونا من يعنيهم الأمر إلى بحث إمكانية تأسيس جمعية بحرينية للفاسدين، تضم فى عضويتها خيرة الفاسدين، ومن يهمس الناس بأسمائهم وحالاتهم، ومعهم بطبيعة الحال الفاسدون الذين ذاع صيتهم، نجدهم يلعنون الفساد ويتحدثون عن الوطنية والمصلحة العامة رغم انهم من ضمن اكثر الناس فساداً، ولا ننسى الفاسدين الذين سرقوا وشبعوا ولم يعودوا يحتاجون للسرقة من جديد، كما لا ننسى بعض حملة الألقاب الحاليين والسابقين، مثل وزير سابق، وكيل أو مسؤول سابق، نائب سابق، وهلمجرا ..

خليل يوسف

من بين أهداف هذه الجمعية المقترحة خلق روح التعارف والروابط والمصالح بين الفاسدين، والعمل على حفظ وتنظيم مصالحهم وتسهيل أمورهم وتثبيت خطاهم، وتنظيم مصالحهم وتبادل الخبرات فيما بينهم، والتعبير عن مواقفهم ازاء القضايا والفضائح ومن يشوه صورتهم ويسقْطهم ويستهدفهم عبر كل الوسائل ومن ضمنها مواقع التواصل الاجتماعي، وجعل مهاجمة الفساد والمفسدين خطاً احمر، مع إذكاء روح العمل لدى الفاسدين بما يعظم من فسادهم ومصالحهم من منطلق ان الفاسد للفساد كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضاً، وأن الفاسدين على أشكالهم يقعون ..!

يمكن أن يكون من بين أهداف الجمعية أيضاً، تطبيق العدالة بين الفاسدين وتنظيم سرقاتهم حسب الأولوية بما يزيد من حضورهم ويعزز من فاعليتهم فى عالم الفساد والإفساد، الى جانب تشجيع النوابغ والمبدعين من الفاسدين، وخلق ثقافة مجتمعية تتقبل الفساد، تتساهل معه، تبرره، وتعمل على خلق جيل جديد من الفاسدين، جيل يقدر نعمة الفساد على المجتمع والناس، باختصار جعل الفساد فى كل مكان، فى الفكر والتطبيق والهدف والأسلوب، فى السياسة، فى أساس البناء، فى المقاول والمتعهد والمراقب والإدارة خاصة عبر ترسيخ قناعة بأن الفساد اصبح جزءاً من حياتنا العامة ولا مرّد له ولا خلاص، ولا مناص من التعايش معه..!!

يمكن لهذه الجمعية أن تدرس كخطوة تالية انشاء متحف يحفظ تراث الفاسدين، بكل تفاصيله وأبطاله ورموزه، كي يظل هذا التراث محفوظاً وحاضراً فى ذاكرتنا الشعبية، ويمكن ايضاً انشاء موقع إليكتروني يعنى بهذا التراث وبشؤون الفساد والفاسدين، وقد يكون مناسباً ايضاً تخصيص جوائز تقديرية سنوية للمتميزين من الفاسدين والمفسدين النوابغ والمبدعين فى شتى فروع ومجالات الفساد والذين أصبحوا نماذج تثبت بانه لا بديل ممكن عن الفساد ولابد من ديمومته ..!!

يمكن أن تكون هذه بداية لتأسيس جمعية إقليمية لاحقاً، وتالياً اتحاد عربي للفاسدين، الفاسدين بالمطلق، والعضوية مفتوحة للفاسدين والمفسدين الذين يتحركون لحالهم ووحدهم، والفاسدين الذين يأكلون الأخضر واليابس ينخرون فى المؤسسات والهيئات والمشاريع والأرض والبحر، وأياً يكن نوع فسادهم وحجمه ومشتقاته، الكيان المقترح يمكن ان يستوعبهم جميعاً، جميع الفاسدين الذين يَرَوْن بان الفساد كنز لا يفنى، ومن اجل توسيع قاعدة العضوية يمكن أن تكون هناك عضويات عاملة، وأُخرى منتسبة، وعضويات شرفية لتمكين شركاء الفاسدين وحماتهم وأربابهم وأعيانهم وكل من هو منخرط فى الفساد، يلعنه ويهجوه ويدعوا إلى التصدى له ومحاربته وفى الوقت ذاته ينام فى مخدعه ومتهم بصنعه ...!

توسيع قاعدة العضوية وتصنيفها وتبويبها أمر مطلوب ومهم خاصة، بل هو أمر يفرض نفسه إذا اتفقنا، ونرجوا أن نتفق على أن الفساد لا يقتصر على انعدام الذمة وفقدان النزاهة وموت الضمير ومد اليد على المال العام والممتلكات العامة؛ وانما هو يعنى ايضاً التقصير ومن يملكون قوة خارقة على الفشل، وتعطيل مصالح الناس ما لم يدفعوا المعلوم، ويعنى التمييز والتفاضل بين المواطنين، وهو أيضا يعنى الموظف المتسيب وغير المنتج وغير المنضبط، كما يعنى من يستغل وظيفته ويتلاعب بحقوق البشر، ومن يرمى بأخطاءه على الآخرين، ومن يخلق حاشية خاصة، اويقّزم موقع عمله لصالحه ولمصالحه ولا يجيد سوى التغنى بإنجازات وشعارات فارغة، فيما شبهات الفساد، او الفساد المدّعم بالأدلة والحقائق والوقائع يمر عبره او أمامه ..!

والفساد يشمل أيضاً من لوّثوا طهارة العلم والمعرفة بشرائهم شهادات مزورة او وهمية ومعهم اولئك الذين يستأجرون مرتزقة أبحاث، ويشمل الصحفي والإعلامي الذى لا يراعى الأمانة والنزاهة فى المهنة ويبيع قلمه ويزّور الحقائق أو يتحول إلى صحفي تحت الطلب، أداة لهذه الجهة أو تلك الشركة ينفذ ما يريد "العميل" نشره لقاء مكافآت علنية وسرية، كما يعنى النائب الذى يكذب على ناخبيه أو ذلك الذى يكتفى بان يكون مطية فى يد أي كان، وكذلك النائب الذى ينشغل عن دوره فى التشريع والرقابة والمساءلة ليصبح أداة او دمية تُحرك حسب الطلب، او مخْلص لمعاملات قانونية وغير قانونية على حساب حقوق الآخرين، ويعنى أيضاً من يتوسل لغايته الخبائث والدسائس ليقصي المتميزين ويهمش المجتهدين، ويبعد اصحاب الكفاءات والخبرات ، ومن يجعل الأردأ يصعد، والأكفأ يهبط، ومن يلعب على الفئويات والطائفية والانقسام بين أبناء البلد ويجعل ذلك ممراً حراً للفساد، ويعني من يشترون الضمائر فى الانتخابات، والنواب الذين يمثلون الحكومات أكثر مما يمثلون شعوبهم، كما يشمل كل الذين فى دولة القانون لا مكانة لهم ولا سطوة ولا اعتبار، كل هؤلاء فاسدون بشكل مباشر، أو على الأقل يضعون حجر الأساس للفساد ويمهدون الطريق اليه دون مطبات، ولهذا يكون الطرح بتوسيع قاعدة عضوية هذه الجمعية الرائدة طرحاً منطقياً وله وجاهته مبرراته الموضوعية..!

للإنصاف وإحقاق الحق \، فكرة الدعوة لإنشاء جمعية بحرينية للفاسدين تتوافق مع دعوة مماثلة طرحها الكاتب الكويتى فهد البسام فى عموده "نقطة» بجريدة (الجريدة)، الرجل كان قد دعا إلى تأسيس مثل هذه الجمعية على صعيد الكويت تذكى روح العمل التطوعي فيما يحقق طموحات وتطلعات الفاسدين فى خدمة مجتمعهم، ونحن بدورنا نشاطره الدعوة مع تطويرها والتوسع فيها، وطالما هناك ازدهار فى أعمال الفاسدين وتنوع أنشطتهم على كافة الأصعدة والمجالات بدون استثناء فى المنطقة بوجه عام، فلا بأس من البدء بإنشاء جمعية خليجية للفاسدين، تؤسس وفقاً للقوانين، وحسب ما تسمح به اللوائح والنظم المعمول بها.

هل يجتمع الفاسدون عندنا، أو فى المنطقة بوجه عام ليباشروا إجراءات الجمعية لنثبت أننا أخذنا زمام السبق والمبادرة على مستوى العالم بإنشاء أول جمعية خليجية تعنى بشؤون ومصالح الفساد والفاسدين والمفسدين، فهل نجد من يتقدم ويباشر إجراءات تأسيس الجمعية، ويحصل على شرف التوقيع على التأسيس، مع تمنياتنا بالنجاح والتوفيق للمؤسسين لكل الفاسدين ..!!!

الخلاصة، إن كان من ثمة كلمة يجب ان تقال فهى، برهنوا انكم تريدون محاربة الفساد، واثبتوا جديتكم فى مواجهة الفساد، وعاقبوا الفاسدين فيزول الوباء..!!

شفافية الميزانية العامة للبحرين لعامي ٢٠١٩ – ٢٠٢٠

أولاً: شفافية الميزانية العامة وأهميتها

تعتبر الميزانية العامة من أهم الوثائق التي تنظم العلاقة الاقتصادية في البلد من حيث الإيرادات والمصاريف، كما أنها من أهم القوانين التي يصدرها البرلمان وتعتبر وثيقة تعاقدية بين البرلمان (ممثلاً للشعب) والحكومة، التي تتولى تنظيم الأمور الاقتصادية والاجتماعية في البلد والصرف عليها على ضوء هذه الميزانية.

ونظراً لأهميتها ينظر لها الباحثين والمهتمين والمؤسسات المالية المحلية والدولية والمحللين الاقتصاديين على انها مؤشر للتطورات الاقتصادية والمالية وللبرامج التي ستتبعها الحكومة للسنوات القادمة. ولا تنفصل الميزانية عن البرنامج الحكومي الذي تقدمة الحكومة في بداية انعقاد المجلس النيابي، وفي هذا العام تكتسب الميزانية أهمية إضافية باعتبارها المعبر الواضح لسياسة التوازن المالي الذي ستلتزم به البحرين على ضوء اتفاقية التمويل مع الدول الشقيقة في الخليج العربي (المملكة العربية السعودية، دولة الكويت ودولة الامارات العربية المتحدة) على ضوء الدعم المالي الذي قدّم للبحرين للمساعدة في تدعيم الوضع الاقتصادي ومعالجة المديونية العامة للبحرين.

تتطلب شفافية الميزانية العامة أن تكون معلومة لجميع المواطنين، بمعنى أن تنشر الميزانية بعد اعتمادها وحتى قبل أن يقرها البرلمان للجمهور للإطلاع عليها ومناقشتها وإبداء الرأي بشأنها، لكن السؤال هو: هل تتمتع الميزانية العامة في البحرين على مدى السنوات السابقة (على الأقل منذ أن بدأت الحكومة بعرض الميزانية على البرلمان) بالشفافية؟ هل يتم نشر البيانات والجداول والسياسات المالية والاقتصادية بشكل واضح للجميع سواء قبل أو بعد اعتمادها من البرلمان؟

المهتمون بشأن الميزانية العامة والذين يبذلون جهوداً في الحصول على نسخة منها، يتلقون المعلومات حولها من الصحافة التي عادة ما تنشر أجزاءاً من البيانات والمعلومات المالية والسياسيات المعتمدة عند إعداد الميزانية العامة.

النقطة الأخرى يفترض أن تعكس الميزانية، كل الإيرادات والنفقات التي تتوقعها الدولة. السؤال هل تحتوي الميزانية العامة على كل الإيرادات بالتفصيل كما يجب وكذلك كل النفقات؟ هل هناك مصاريف لا تدخل ضمن مستند الميزانية العامة التي تعرض على البرلمان وماهي نسبة هذه الإيرادات أو النفقات التي لا تدخل ضمن وثيقة الميزانية العامة سواء قبل أو بعد؟

السؤال الثالث هل تنشر الحكومة تقارير نصف سنوية حول بنود الميزانية العامة وما تمّ تحقيقه من الأهداف أو لم يتحقق، من توقعات الحكومة وماهي الأسباب؟ المعروف عن الميزانية أنها توقعات، ومن الطبيعي لهذه التوقعات أن تتحقق أو لا تتحقق وهناك أسباب ومبررات لعدم تحقيق أي من بنود الميزانية، فهل يتم إطلاع الجمهور على كل هذه الأمور؟

هذه هي شفافية الميزانية العامة

هناك على المستوى العالمي العديد من المبادرات والوثائق

شرف الموسوي

التي يصدرها صندوق النقد الدولي والتي تتعلق بشفافية الميزانية العامة ، وأهمها الدعوة لأن تكون هناك منظومة تشريعية تنظم هذا العمل وتلزم الحكومات بنشر هذه البيانات. ومن أهم المبادرات مبادرة شفافية الموازنة العامة والتي تقوم على العديد من المبادئ المهمة التي يتطلب من الدول اتباعها من أجل تحقيق مبدأ الشفافية.

مبادرة الشفافية في الصناعات الاستخراجية:

ما هي مبادرة الشفافية في مجال الصناعات الاستخراجية؟

تُعتبر مبادرة الشفافية في مجال الصناعات الاستخراجية معيارًا عالمياً للشفافية في قطاع الصناعات الاستخراجية. وتركز على المقارنة بين مدفوعات الشركات والأموال التي تتلقاها الحكومات مع الكشف عن تلك المعلومات للعامة. يتمثل الهدف في تحديد الفوارق المحتملة بين المدفوعات والمبالغ التي تم تلقيها والتحقيق في الأسباب المؤدية لها والتعامل معها. يتم تنفيذ إجراءات مبادرة الشفافية في مجال الصناعات الاستخراجية بالأستعانة بخدمات شركات مستقلة ويتم إجراؤها تحت إشراف لجنة إدارية من أصحاب المصالح المتعددين. يضع المدير تقريرًا عاماً يضم بيانات العائدات والمدفوعات وتوضيحاً للفوارق ونقاط القصور في الإجراءات. يجب أن تلتزم كل برامج مبادرة الشفافية في مجال الصناعات الاستخراجية بمبادئ ومعايير مبادرة الشفافية في مجال الصناعات الاستخراجية، ويجب أن تكمل 20 خطوة في أربع مراحل كما هو موضح في الرسم على الصفحة التالية. إلا أنه يتم تصميم الإجراءات بالكامل بحيث تتمكن كل دولة من تكييفها حسب الضرورة. ينبغي تنفيذ إجراءات مبادرة الشفافية في مجال الصناعات الاستخراجية سنويًا.

فوائد الإنضمام لمبادرة الشفافية في الصناعات الاستخراجية

ضمان استخدام جزء أكبر من العائدات الناتجة عن الموارد النفطية والموارد المعدنية الأخرى، لفائدة شعب البلد.

تقوية المراقبة والرقابة على الميزانية. يمكن أن تكون تقارير مبادرة الشفافية في مجال الصناعات الاستخراجية أدوات قوية كي يفهم المواطنون والمشرعون كمية الأموال التي تحصلها الحكومة.

تعزيز أوسع لمكافحة الفساد والحكم الرشيد. تستطيع أن تجعل برامج مبادرة الشفافية في مجال الصناعات الاستخراجية من إخفاء الممارسات الفاسدة أمرًا أكثر صعوبة.

بناء الثقة في المؤسسات العامة لدى المواطنين. عندما يستخدم النواب المنتخبون مبادرة الشفافية في مجال الصناعات الاستخراجية من أجل تحسين الانفتاح والنقاش العام حول كيفية تلقي الحكومة للعائدات وإنفاقها، فقد يشعر المواطنون بالتمكين من أسباب القوة وبأنهم أفضل اتصالاً بالعملية السياسية وأكثر ثقة في أن مصالحهم ستكون موضع اعتبار عند اتخاذ القرارات الحكومية ومن المرجح أكثر أن يؤمنوا بأنهم يستطيعون لعب دور في مساءلة حكومتهم.

العمل على تقليل الخصومات بين الحكومات، والشركات، والمجتمعات أو المواطنين. وغالباً ما تلوم الحكومة والشركات بعضها البعض. يمكن أن تؤدي الشفافية إلى بناء الثقة بين هذه الأطراف، وتستطيع مبادرة الشفافية في مجال الصناعات الاستخراجية أن تخلق منتدى آمناً للحوار والتفاهم والوصول إلى حل.

تحسين مناخ الاستثمار. إن تطبيق إحدى الدول لمبادرة الشفافية في مجال الصناعات الاستخراجية يرسل إشارة للمستثمرين والشركات الدوليين بأن الحكومة ملتزمة بتقوية الشفافية والمساءلة. ويمكن النظر إلى الدولة باعتبارها وجهة أكثر جاذبية للاستثمار، وهو ما يمكن أن يحفز النمو الاقتصادي في قطاعات أخرى ويمكن أن يزيد الوصول إلى رأس مال أقل تكلفة على المدى الطويل مع تحسن تصنيفات المخاطر الخاصة بالدولة.

شفافية الميزانية العامة

من الشرح المختصر أعلاه، يتضح فيما يتعلق الأمر بالميزانية العامة للبحرين، أنها لا تتضمن التفاصيل اللازمة عن مبيعات البحرين من النفط الخام أو الغاز سواء من بئر البحرين أو بئر أبو سعفة المشترك مع المملكة العربية السعوديوة الشقيقة، ومقارنة ذلك مع المستخرج من باطن الأرض.

كما لا تتضمن الميزانية مقدار وحجم المشتريات التي تشتريها مصفاة البحرين (شركة بابكو) من المملكة العربية السعودية لتشغيل المصفاة وتكلفة تلك المشتريات وحجم المبيعات وقيمتها من المنتجات النفطية بعد التكرير ونوعيتها.

ينبغي أن يتم الإفصاح عن المخاطر على المالية العامة وتحليلها وادارتها وأن تضمن فعالية التنسيق في صنع القرارات بشأن المالية العامة على مستوى القطاع العام، كما تتطلب الشفافية في الميزانية العامة الكشف عن جميع البيانات والمعلومات والسياسيات الاقتصادية والمالية والتوقعات والمخاطر المتعلقة بالميزانية بحيث تكون في متناول جميع الاطراف سواء وكالات التصنيف أو باقي الأطراف المهتمين والأهم هم المواطنين.

بصراحة

افتحوا النوافذ للهواء الطلق

فاضل الحليبي

أشادت الصحافة المحلية الصادرة في يوم الأربعاء بتاريخ 17 إبريل 2019 بالحكومة لتجاوبها السريع مع مجلس النواب بشأن تطبيق الإجراءات القانونية لحماية السلم الأهلي والاجتماعي، وأضافت الصحافة المحلية بأن «مجلس النواب أكدّ جاهزيته للتعاون مع الحكومة في تحديث المنظومة التشريعية بما يضمن الاستخدام الرشيد لمواقع التواصل الاجتماعي، وحظر إساءة استغلالها في التحريض على الكراهية، وتجريم أي تجاوزات من شأنها الإخلال بالأمن الوطني والسلم الأهلي والنظام العام أو التعدي على حقوق المجتمع ومؤسساته، بالتوافق مع الدستور والمواثيق الحقوقية الدولية».

نحن نذهب إلى أكثر من ذلك للمطالبة بالتصدي لمظاهر الكراهية والتمييز في المجتمع بإصدار قانون يجرم التمييز والكراهية في المجتمع، وقد طالبنا بهذا أكثر من مرة على صفحات نشرة «التقدمي»، مع الحفاظ على السلم الأهلي والاستقرار والأمان وتكريس التسامح والتعايش والوئام الوطني في المجتمع ، ومساءلة من يعمل على زرع الفرقة والكراهية بين المواطنين في الصحافة والإعلام بتنوعاته ووسائل التواصل الاجتماعي، ووقف كل مظاهر الكراهية والتمييز في المجتمع لكي تتعزز وتترسخ قيم ومبادئ السلم الأهلي على الواقع الملموس وأن يتوقف من كان يمارس مهمة التأليب والقذف ضد الذين يختلف معهم في الرأي والموقف طوال السنوات الماضية.

نحن نطالب بالتصدي لمظاهر الكراهية والتمييز في المجتمع بإصدار قانون يجرم التمييز والكراهية

وهؤلاء البشر كُثُر سواء كانوا في الصحافة المحلية أو أجهزة الإعلام الأخرى، أو من خلال منابر العبادة ووسائل التواصل الاجتماعي، ممن كانوا مستمرين في (حفلة الزار)، وربما يكون البعض منهم قد خفّف إيقاعه خفّف قليلاً، ولكن هناك آخرون ما زالوا يواصلون الرقص في الحفلة إياها. وهؤلاء، بالذات، يجب تذكيرهم بقيم ومبادئ السلم الأهلي، وألّا يكون هناك خلط بين حرية الرأي والتعبير وتلك الإجراءات الجديدة التي يمكن أن تتحول لقانون

يخشى المرء بأن تتقلص الهوامش المتبقية من حرية الرأي والتعبير في وسائل التواصل الاجتماعي بعد أن بدأ الأمر بالتضييق على العمل السياسي ومنظمات المجتمع المدني تحت عناوين مختلفة، ذلك أن حيوية المجتمع وأفراده ومنظماته هي بتعدد الأفكار والآراء لينشط ويرتقي بالبلاد، وليس بفرض رأي واحد يسود في المجتمع .

تنص المادة 19 من الإعلان العالمي لحقوق الإنسان التي كرّسها العهد الدولي الخاص بالحقوق المدنية والسياسية على أنه «لكل إنسان حق في اعتناق آراء دون مضايقة»، وأن» لكل إنسان حق في حرية التعبير» ويشمل هذا الحق حريته في التماس مختلف ضروب المعلومات والأفكار وتلقيها ونقلها إلى آخرين دونما اعتبار للحدود».

هذا لا يعني الإنفلات، فهناك ضوابط وحقوق وواجبات ومسؤوليات قانونية بأن يمارس المرء حريته بالتعبير عن مواقفه وآراءه دون اعتداء أو تعرض لحقوق الآخرين. افتحوا النوافذ للهواء الطلق.

الانتظار خيار سياسي غير رشيد

قاسم الحلال

اخترت هذا العنوان: (الانتظار خيار غير رشيد)، من مقال الأستاذ الرفيق عبد الجليل النعيمي: (مبادرة المنبر التقدمي)، وذلك بعد أن عقدت اللجنة المركزية للتقدمي دورتها ال 16، في وقت التحضير لمؤتمرها الاعتيادي العام الخامس الذي عقد في نسيان من العام 2009، وقد مرَّ على هذا المقال عشرة أعوام، ولكن الفكرة نفسها تظل صحيحة وماثلة.

جاءت مشاركتنا في الانتخابات النيابية والبلدية الأخيرة ومن ثم دخولنا في المجلس النيابي، لتبديد هذا الإصرار على الانتظار حتى يبلغ السيل الزبا، وحيث بات من الضرورة اليوم أن تجد كل الأطراف بما فيها الحكومة ضرورة خلق مجلس ديمقراطي، واصر على (الديمقراطي)، ولكن المقصود هنا الديمقراطية الحقيقية.

فكلمة (الديمقراطية) التي بدا العالم يرى أن التشدق بها، والاكتفاء بوضعها يافطة أصبحت ذات مردود سلبي واضح، حيث نطاق العنف يتمدد أكثر، وبالذات من الذين يختفون وراء يافطاتها، واصبح الوضع لا يطاق، ومن الخطأ السكوت عنه، وكانت مبادرة المنبر التقدمي يومها متميزة تختلف عن سابقاتها من المبادرات ما جعلها تكتسب الكثير من التأييد من قبل شخصيات مهمة ومن الصحافة.

الديمقراطية هي حرب على الانتظار؛ فقد طال انتظار مهدوري الحقوق والمرضى والمضطهدين والعاطلين، فالإنسان البسيط المغلوب على أمره لا يهمه أن فلاناً يحمل أفكاراً، يمينية أو يسارية، فهو يريد خبزاً لأبنائه، ويريد لهم تعليماً وسكناً وصحة، وما يضمن لهم مستقبل يكفل عيشاً كريماً.

ان المصداقية تعني تأكيداً على الجدية في ممارسة الديمقراطية وتعزيزها، وبالتالي تصبح ترجمة لهدفنا في بناء وطن يسير في طريق التطور والنماء، وبهذه المصداقية نكون قد خلقنا نقاط التقاطع والتجاوب للعيش على قاعدة سليمة، تستوعب محور ما نبتغيه من وطن.

ان الديمقراطية تعني الجميع، وليس القوى السياسية ومؤسسات المجتمع المدني وحدها، بل تعني في تطورها الحكومة في الأساس لأنها هي المسؤولة والمعنية بالحفاظ عليها في المرتبة الأساسية، لأن الاستقرار مرهون بوجود هذه الديمقراطية وتطورها.

رأس المال الكولونيالي في سياق الأزمة الاقتصادية البحرينية

«إما الأيديولوجيا البورجوازية وإما الأيديولوجيا الاشتراكية.. أما الطريق الثالث فإنه غير موجود»
- لينين

هشام عقيل

لا يخفى على أي بحريني اليوم بأن البحرين تمر بوضع صعب لم تشهده من قبل من ناحية عامة في مستوياتها البنيوية الاقتصادية، والسياسية، والإيديولوجية. ولكن الأزمة ليست أزمة سيطرة طبقية، ولا هي أزمة بنيوية كما يبشرنا ذلك بعض اليسراويين والمتحمسين من المعارضة. كما إنه لا يخفى على أحدنا بأن هذه الأزمة، بكونها أزمة هيمنة طبقية من حيث الأساس، هي نتاج شبكة معقدة من التناقضات المتفاوتة في تطورها، والمتحددة بشكل مضاعف؛ لا يمكنها أن تنحصر في واحدة دون الأخرى وإلا أصبحت محددة بشكل ناقص وهكذا.

افتعلت هذه الأزمة صراعاً إيديولوجياً عاماً، وأخذ كل جانب موقفاً، فدخل الصراع وشارك فيه. نحن نرى ذلك في الصحف اليومية وكمية الآراء المتضاربة فيها، وفي المناقشات البرلمانية التي تقترب احياناً من الكوميديا أكثر من كونها جادة. ولكن هذا الصراع لا ينحصر في الأجهزة الإعلامية والسياسية وحسب، بل في المقاهي، وبرامج التواصل الاجتماعي، والمجالس، إلخ.

هذه الرؤى الإيديولوجية، بطبيعة الحال، تأخذ "البداهة" منطلقها، فتراها لا تحلل الموضوع مراد دراسته تحليلاً علمياً لذا تسقط في الإدراك-المغلوط — دون أن تدري بأن هناك شيئاً، كما اعتاد هيغل أن يقول، يمر «وراء ظهرها». حسن إذن! الأزمات تمكنا أن نرى الأمور بشكل أوضح؛ لا لأن ما يمر وراء ظهورنا يكشف عن نفسه، بل لأنه ينقض علينا من الخلف — وكل إنقضاض هو مفاجأة؛ فميزة الفكر الماركسي العلمي هو أنه يقبض، يدرك، الشيء في إنقضاضه؛ في حركته.

إن شئنا أن نقدم عرضاً (والعرض هو الإيجاز) حول طبيعة الأزمة في البحرين، التي حددناها بأنها أزمة هيمنة طبقية لا أزمة عامة، فإنه سيتوجب علينا تحديد الجوانب والأوجه المتعددة لكلية هذه التناقضات، لا واحدة دون الأخرى. فكم من كتابات، وكتابات ماركسية بالتحديد، تتعاطى مع هذا الموضوع ولكن بجانب احادى وبلغة بورجوازية واضحة؟. إن غياب الفكر الماركسي يساهم في هذه الأزمة بطريقة أو أخرى؛ حيث تم استبداله تماماً من قِبل إيديولوجيا رومانتيكية اسمها: الوطنية.

يبدو لنا بأنه لا بد أن نذكر بعض الحقائق الأساسية حول طبيعة البنية الاجتماعية البحرينية قبل أن نبدأ في عرضنا، ونختصرها في التالي:

إن الأبنية الاجتماعية الخليجية هي أبنية اجتماعية يسيطر فيها الشكل الكولونيالي من نمط الإنتاج الرأسمالي (معطى بأن هناك شكلين لإقتران هذا النمط — أحدهما مستقل وثانيهما كولونيالي).

من دون الدخول في تفاصيل تاريخية، نرى أن أصل البورجوازية الكولونيالية في الخليج هو حكوماتي، ايّ أن القسم الحكومي من هذه الطبقة كان أصلها وأساسها (على العكس من أغلب البلدان الكولونيالية، العربية وغير العربية، التي كانت أصول بورجوازيتها ريفية وتجارية).

لطالما شدّد الفكر المادي التاريخي بأن الطبقة المهيمنة ليست هي هي الطبقة الحاكمة، وإنه من الممكن – في نفس الوقت – أن تكون الطبقة الحاكمة في تعارض مع الطبقة المسيطرة. ورغم أن الهيمنة الطبقية تستمد من السيطرة الطبقية، إلا أن الأولى تخضع لتغيرات وأزمتها ليست هي هي أزمة الثانية. ولكن في حالة الأبنية الاجتماعية الخليجية نجد، ولأسباب تاريخية ملموسة، بأن هناك تطابقاً ما بين الطبقة الحاكمة والطبقة المهيمنة (لكن علينا أن نكتفي بذكرها كحقيقة، والمجال لا يسعنا للدخول في التفاصيل هنا).

نفترض، ايضاً، بأن رأس المال الكولونيالي هو تبعي (سواء أكان بشكل غير مباشر أو مباشر)، وذلك يجب أن يُفهم وفقاً لعملية الإنتاج ككل، ايّ في وحدة سيرورة العمل بالعلاقات الإنتاجية. إن رأس المال الكولونيالي التبعي لأنه نتج ضمن إطار رأس المال الإمبريالي؛ فيمتاز، إذن، بكونه أولاً متغيراً تابعاً بالنسبة للإمبريالي، وثانياً بكون تركيبه العضوي ملجم – بالنسبة إلى الإمبريالي – بشكل بنيوي.

تحت هذا الضوء سنتمكن من عرض الأزمة بشكل اكثر دقة، رغم أنها تبقى موجزة، فيما يخص سياقاتها التالية: الاقتصادي، والسياسي، والإيديولوجي.

ا- السياق الاقتصادي

الجميع يشعر، بشكل أو بآخر، بالأزمة الاقتصادية التي بدأنا نواجهها منذ سنوات قليلة. فآثارها قد ضربت الطبقات الشعبية (الطبقة العاملة، الطبقة البورجوازية الصغيرة المتجددة، الطبقة البورجوازية الصغيرة التقليدية، طبقة تحت-البروليتاريا) قبل أي طبقة اخرى. فأنواع الدعم الأساسية قد رفعت (اهمها رفع الدعم عن اللحوم وأسعار المحروقات)، ومؤخراً تم طرح ضريبة القيمة المضافة (VAT) ضمن برنامج التوازن المالي. وضمنها مخاوف اخرى تحيط بالفرد البحريني لإحتمالية تبدد امتيازات كان يتمتع بها — وليس من المستغرب بأن دعم الكهرباء سيرفع ايضاً كأحد الإجراءات العديدة التي من شأنها أن تحط من نوعية "رفاهية" هذا الفرد التي كان يتمتع بها قبل عدة سنوات.

الكل، إذن، يخاف ويشعر وينتظر مآلات كل هذه الإجراءات القادمة. والجميع لديه نقطة مرجعية للملامة؛ سواء أكانت السياسات الاقتصادية الحكومية، أو التجنيس، أو تهميش القطاع الخاص، أو تراجع البحرنة، إلخ. كما أنه لأمر مدهش بأن ماركسيينا، بدلاً من أن يقدموا تحليلاً موضوعياً لكل هذه الإنطباعات الذاتية-الإيديولوجية، تجدهم يتماشون معها دون تفسيرها تفسيراً مادياً تاريخياً. ولما رأوا أنفسهم مكتفين بهذه الإنطباعات وخاضعين لها كلياً، سقطوا – بالتالي – في دوامة "الدفاع عن المطالب الشعبية"، أو ما سماه لينين، في (ما العمل؟)، بالفكر النقابي (trade-unionism) — الذي يمثل اشكال تغلغل الإيديولوجيا البورجوازية.

بعيداً عن التفسير البورجوازي للأزمة الاقتصادية، نحن لا نراها بأنها مرتبطة بـ "حزمة سياسات اقتصادية خاطئة"، أو توجه معين، أو حتى قضية طريقة عمل السوق نفسها. فالتفسير المادي للتاريخ يحدد بأن الإنتاج هو المحدد الأول لباقي العمليات الاقتصادية: الاستهلاك، والتوزيع، والتبادل — بمعنى كونها مبنية وفقاً للإنتاج نفسه. إن ما يظهر في السوق هو مجرد سطح المسألة ككل. ولما كان الأمر هكذا، فإننا نعلم بأن رأس المال لا يعاد إنتاجه إلا على نحو لحظات أو أقسام، وهذا الكلام يطبق على رأس المال الكولونيالي ايضاً.

يتبع

يتبع

كما إننا نحدد بأننا في البحرين، نجد أن القسم المهيمن من رأس المال الكولونيالي هو الحكومي؛ ولا ترجع هذه الهيمنة إلى حقيقة أن لهذا القسم اسبقية على الأقسام الأخرى وحسب، بل بحقيقة إمكانية إندماج هذا القسم بالأقسام الأخرى، وبالتالي يهيمن عليها في هذا الفعل بحد ذاته، ايّ يكون الإندماج نفسه ما بين أطراف غير متكافئة بالفعل. ورغم أن لهذا التحديد أسباب تاريخية ملموسة، إلا أن هذه العلاقة يعاد إنتاجها عبر الهيمنة الطبقية والسيطرة الطبقية. معنى هذا الكلام هو أن رأس المال الكولونيالي لا ينحصر بقسم من اقسامه (كما تصوّر المرحوم عبدالله خليفة بمفهومه حول رأس المال الحكومي الشرقي)، بل ينقسم على نحو أقسام مختلفة؛ وفي هذا "التعايش" تكمن التناقضات ما بينها — رغم وحدتها بفعل السيطرة الطبقية نفسها.

تاريخياً، بدأ رأس المال الكولونيالي في البحرين حكومياً، رغم أنه كان تبعياً بشكل مباشر (ايّ مندمج كلياً بالرأس المال الأجنبي)، واعتمد اساساً على حقل انتاجي واحد: النفط (بالإضافة إلى الضرائب التي لا تشكل رأس مالاً منتجاً). ولكن مع اتساعه كقسم مهيمن، أخذ على عاتقه صناعات تمتاز بكونها تبعية بشكل غير مباشر، لا في الصناعات النفطية وحسب، بل الصناعات الإستخراجية بشكل عام كذلك (كالألمنيوم على سبيل المثال). كما إنه إندمج مع الأقسام الأخرى (التي تولّدت بفعل إتساع تراكم رأس المال المحلي)، وصار جهة الثقل فيها — مثلاً في الأقسام التجارية مثل الإتصالات، والسياحة، والمصارف. بإختصار: إن هذا القسم من رأس المال الكلي لا يهيمن وحسب، بل عبر هذه الهيمنة، أو كنتيجة لهذه الهيمنة، يقوم – من حيث طبيعته – بإلجام الرساميل الأخرى من الحركة. وعلى الرغم من اعتماده على مصادر اخرى، إلا أن اعتماده الأساسي قائم – في المقام الأول – على ريع النفط.

إن أردنا أن نفهم كيف يعمل قانون القيمة فيما يخص إنتاج النفط، لا بد أن نفهمه في ضوء نظرية الريع الماركسية — حيث الإنتاج النفطي ينتمي إلى هذا المفهوم بالتحديد لا إلى الإنتاج السلعي الصناعي بشكل عام، وذلك يعود اصلاً إلى كون النفط، بكونه مصدراً للطاقة، يمتاز بالندرة الهيكلية. ولكن ما يجب أن نفهمه بخصوص "احتكار" القسم الحكومي من رأس المال البحريني لإنتاج النفط هو أنه لا ينوه بما سماه ماركس بالريع المطلق، إذ إأننا في هذه الحال سنكون قد حددنا بأن الأرض (مصدر الريع) مدموغة بالملكية الخاصة، وفي نفس الوقت يكون الاحتكار – في هذه الحال – إحتكار ينتمي إلى الملكية القانونية لا الملكية الإقتصادية الفعلية (التي تعود للمستأجر) كما بيّن لينين. في حالة رأس المال هذا، لن نجد أي مكان للريع–المطلق؛ بما أن القسم الحكومي، أو رأس المال الحكومي، هو الذي تعود إليه الملكية الاقتصادية الفعلية زائداً الملكية القانونية. إن هذه النقطة مهمة إذ تفيدنا بأن الأرض (النفطية أو الإستخراجية بشكل عام) في البحرين، كما هي في الخليج، محكومة بالريع التفاضلي لا المطلق؛ مهما رغب أحدنا في أن يبين بأن القسم الحكومي ينتشل الفائض، سنجد في النهاية بأن هذا القسم هو من ينتجه ايضاً.

أنا أذكر هذه الحقيقة لأبعد الوهم القائل بإن رأس المال الخليجي بشكل عام يمتاز بكونه رأس مالاً ريعياً. على العكس، يستطيع أن يرى التحليل الماركسي السليم كيف لعب الريع–التفاضلي النفطي، الذي يتحدد سعر إنتاجه من قبل اسوأ أرض أو أسوأ الظروف للأرض (لا متوسطها كما هو في الإنتاج السلعي–الصناعي)، بفعل الندرة الهيكلية، دوراً تاريخياً في البلدان النفطية. مثال على ذلك هو: الطفرة النفطية في السبعينيات، بعد أن تمكنت بلدان الأوبك من احتكار الأسعار بحكم أن سعر النفط يتحدد وفقاً للإنتاج الذي يمتاز بتكلفة إنتاج عالية (وهذا يعود إلى احتكار الأرض اساساً؛ قانونياً واقتصادياً في آن)، وبالتالي اكتسبت الحقول التي تمتاز بظروف افضل فوائض من الريوع النفطية التفاضلية. ومثلما لعب الريع التفاضلي النفطي دوراً مفصلياً في فوائض الأرباح لبلدان الأوبك في السبعينيات، فإن السعي ورائها في أيامنا هذه قد لعبت دوراً معاكساً تماماً؛ من حيث انحسار فوائض الأرباح، لا بفعل العرض والطلب في السوق، بل بفعل الدافع الإنتاجي في المقام الأول. سنرى كيف انعكس كل ذلك على البحرين.

في 2014، ارتفع سعر برميل النفط بالنسبة إلى خام البرنت 115$ بعد أن كان قد انخفض في 2008، نتيجة للكساد الاقتصادي، حتى 35$. إن ردة الفعل الطبيعية للإنتاج الرأسمالي – طبيعية من حيث أنها تتسم بالفوضى الإنتاجية – رفعت من معروض الخام حتى هبط سعره بحلول نهاية 2015 إلى 37.3$. ففيما زاد إنتاج البلدان والشركات النفطية، لم يقابل ذلك انتعاشاً في الحركة الاقتصادية الراكدة آنذاك؛ وبالتالي نكون في حالة فائض العرض. شكّل ذلك ضربة للسوق وللأسعار السوقية، وأدى إلى انخفاض سعر برميل النفط إلى 55.3$ في نهاية نفس السنة (2014). حقيقة أن سعر برميل النفط بدأ يتراجع أكثر فأكثر منذ 2014 حتى وصوله إلى 27$ (ايّ أقل من سعره في كساد 2008) في 2016 كافية أن تقلق رأس مال يعتمد على إنتاج النفط من حيث الأساس. وبما إن البحرين، فيما يتعلق بالريع التفاضلي النفطي، لها الظروف الأسوأ في الأرض النفطية في الخليج، كمورد، وبالتالي يصل إنتاجها للنفط نحو 265،000 برميل يومياً فقط، فإنها قد واجهت خسارة جمة ولم تجد حلاً سوى الاقتراض والاستدانة بعد تراجع اسعار النفط. وهكذا، سرعان ما غطى الدين العام 88.2٪ من الناتج المحلي الإجمالي في 2017، ويقدر أنه سيتجاوز 100٪ من الناتج المحلي الإجمالي في 2019.

أما الحل الذي ارتآه كارتيل أوبك قد جاء في اجتماع فيينا في 2016، وتجسّد في خفض الإنتاج النفطي على نحو 1.2 مليون برميل في اليوم. كما أن البلدان التي ليست لها عضوية في أوبك قررت بأنها ستساهم بدورها في تخفيض إنتاجها النفطي (فمثلاً وافقت روسيا على استقطاع 300 ألف برميل). يا لها من أخوية جميلة يتمتع بها الرأسماليون! ولكن طالما بقي رأسماليون فواحدهم دائماً يبتلع كثيرهم. فالبلدان التي تواجه ظروفاً اسوأ لإنتاج النفط، البحرين مثلاً، ستواجه عقبة تلك الظروف السيئة المتعلقة بنوعية الأرض والحقل النفطي من جهة، وعقبة تجسّد هذه الظروف السيئة التي تمثل ردة الفعل تجاه الأولى: تكلفة الإنتاج.

إن قسنا المسألة وفقاً لمنطق السوق، كما يقوم ذلك الفكر البورجوازي عموماً، وإن جعلنا من منطق الإنتاج جزءاً مذيلاً للسوق، سنكون قد قلبنا الأمور رأساً على عقب. إن قطع قدر معين من الإنتاج النفطي يشير بشكل أساسي إلى قطع قدر معين من تكلفة الإنتاج أيضاً؛ سواء أكان ذلك من الناحية التقنية أو القيمية — بما أن التركيب العضوي لرأس المال هو تركيب هذين التركيبين. معنى ذلك، لا يمكن للرأسمالي أن يستقطع إنتاجه ما لم يوقف، في ذات الوقت، قدراً معيناً من تشغيل المكائن والعمال (من ناحية تقنية) أو استقطاع من رأس المال الثابت نفسه وتوظيفه في أماكن اخرى (من الناحية القيمية).

لذا نقول بإن الحقل الذي يستدعي تكلفة إنتاجية عالية بالنسبة إلى نوعية الأرض لن تنبع منه أرباح سريعة في

يتبع

هذه الظروف؛ رغم الارتفاع النسبي للأسعار، إلا أن استقطاع التكلفة الإنتاجية – في هذه الحالة – أيضاً ستشير إلى تخفيض إنتاجية العمل على الحقل الضعيف. بينما الحقل الذي يستدعي تكلفة إنتاجية أقل في ظل ظروف نوعية مُثلى، مثل الحقول السعودية أو الكويتية، فإنها ستتمكن من التعافي بشكل اسرع وتستحصل ارباحاً بشكل افضل حتى وإن قطعت جزءاً من إنتاجها النفطي، إذ إن استقطاع جزءاً من التكلفة الإنتاجية هنا يدل على مكسب اقتصادي واضح؛ بما إن الحقل الأمثل للإنتاج لا يحتاج إلى درجات عالية من التكلفة — وهذا ما تثبته الأرقام، حيث نجد أن تكلفة إنتاج برميل النفط السعودي انتقلت من كونها $9 تقريباً في 2016 إلى $4 تقريباً في 2019.

إن الارتفاع البطيء لأسعار النفط من 2016 قد أعطى البلدان ذات الحقول الجيدة ارباحاً فائضة، إلا أن ذلك – كما عللنا – لن ينعكس بشكل إيجابي مباشرة على الإيرادات النفطية للرأس المال الحكومي في البحرين — لا من حيث تكلفة الإنتاج وحسب، بل في ارتباطها بظروف الإنتاج ككل. فبالإضافة إلى الاستدانة، لجأت حكومة البحرين إلى عدد من الإجراءات، بالتعاون مع قروض مقدمة من قِبل السعودية والكويت والإمارات (والتي تصل إلى 11 مليار دولار)، تحت اسم "برنامج التوازن المالي". ويأتي ضمنه حزمة من الإجراءات التي تهدف إلى إحداث التوازن للعجز الذي تواجهه البحرين.

تركت هذه الإجراءات، من حيث أنها تضرب عمق الحياة اليومية (فرض الضرائب على السلع غير الأساسية، رفع الدعم الحكومي، تقديم برنامج التقاعد الاختياري، إلخ)، ثقلاً ملحوظاً على مواطنين اعتادوا أن يعيشوا في مجتمع استهلاكي (هذا إن صحّ التعبير، ولكننا سنستخدم هذا التعبير بالمعنى السوسيولوجي الدارج). كما أن رأس المال الحكومي أصبح جدياً يبحث عن مصادر أخرى لتوظيف نفسه (هذا واضح مثلاً في حقيقة أن المتوسط السنوي لنمو الناتج المحلي غير النفطي يصل إلى 7.5٪)، وفي مثل الوقت توسعة إنتاجه النفطي طامحاً لأن ينتج 360 ألف برميل في اليوم، بالإضافة إلى "تمكين" القطاع الخاص.

أيمكن أن نفسر ذلك على أن رأس المال الحكومي قد بدأ يفقد قوته الاقتصادية؟ أهذا ما يعنيه التمويل المتزايد للرساميل الخاصة؟ لا أعتقد ذلك. أغلب المحللين لا يقسمون رأس المال نحو لحظاته، وبالتالي يقعون تحت اللغة البورجوازية ويصنفون رأس المال الإجمالي تحت مسمى "الإيرادات" بشكل عام — وذلك التحديد بحد ذاته يُغيّب الصراع الطبقي ما بين الطبقة المسيطرة ذاتها، وما بينها وبين الطبقات الشعبية. إن الاعتراض العام لهيمنة "القطاع الحكومي" في الاقتصاد يقابله المطالبة بتمكين القطاع الخاص؛ وهذا ما يطالب به بعض ماركسيينا ايضاً! وكأنما المشكلة هي مشكلة رأس المال الحكومي وحسب، أو قل: كأنما المشكلة بكون رأس المال الكلي حكومياً، وذلك تصور مغلوط تماماً.

ويرجع ذلك إلى فكرة موهومة ومغلوطة، بأن هناك إمكانية ظهور رأس مال وطني خاص؛ رغم أننا قدمنا التحديد العام للرأس المال الكولونيالي بكونه رأس مال تبعي: سواء أكان تبعياً بشكل مباشر أو غير مباشر. فتلك الدعوات المتصاعدة لتمكين رأس المال غير–الحكومي لأن ذلك اكثر "عدلاً" لباقي الرأسماليين لا تعلم أن شكل رأس المال الاحتكاري في الخليج كان دائماً حكومياً، وبالتالي فإن هذا "التمويل" الظاهري للرأس المال الحكومي المقدم لرأس المال غير الحكومي سيجعل هذا الرأس المال يمتاز بكونه غير–احتكاري؛ لا أكثر ولا أقل — وهذا يعود بالنفع للرأس المال الحكومي قبل أي شيء آخر.

معنى هذا الكلام بالتحديد هو أن القسم غير الحكومي (الذي يحصل أنه ايضا غير احتكاري) ينتمي إلى الطبقة المسيطرة مع القسم الحكومي على حد سواء. حين يبشرنا بعض الماركسيين، أو لنقل: اليساريين، في البحرين بأن التحالف الطبقي يحصل ما بين العمال، والبورجوازية الصغيرة، و"القطاع الخاص" (ويعنون بذلك رأس المال الكولونيالي غير الاحتكاري، وفي هذه الحال غير الحكومي)، لأنهم يعتقدون بأن رأس المال "غير–الاحتكاري" هو وطني من حيث طبيعته، فإنهم يحكون لأنفسهم حكايات خرافية — والأسوأ من ذلك يسمنون الطبقات الشعبية بأكاذيب دسمة، رغم أنهم يدافعون عن مصالحها؛ ولكنهم يقومون بذلك من وجهة نظر بورجوازية. وحين يطالب بعض يساريينا بفتح شريان الإنتاج في البحرين، مستخدمين لغة بورجوازية، لزيادة "الناتج المحلي الإجمالي" لمصلحة البحرين "الوطنية" (تحت إيديولوجيا الوطنية التي استبدلت الماركسية)، فأنهم ايضاً يخدعون أنفسهم، والأسوأ يخدعون العمال ايضاً: إذ إنهم ينادون لتقسيم "أعدل" لاقتسام القيمة الزائدة المحلية. وهذا ما نراه، للأسف، أيضاً في بعض اوجه المنبر التقدمي (ومن ضمنه مطالب كتلة "تقدّم" في البرلمان التي تبين وجهة النظر التي ننتقدها). الحقيقة هي أن هذا الخلق المستمر للرأس المال غير الاحتكاري، الذي يمتاز بكونه غير حكومي أيضاً، من قِبل رأس المال الكولونيالي الحكومي والاحتكاري نفسه هو لا شيء اكثر من تبعية الأول للثاني، أو وجود الأول بشروط الثاني — أو قل: علاقتهما تصبح عضوية.

حين يبدأ رأس المال الحكومي في البحث عن "مصادر" اخرى، ويبدأ بالحديث عن "تمكين" القطاع الخاص (ايّ رأس المال غير الحكومي)، فإن علينا ألا نقرأ ذلك ليعني بأن هناك تحولاً سيجري ما بين هيمنة أقسام رأس المال، أي ما بين الحكومي والخاص؛ حيث أن خصوصية رأس المال الكولونيالي في الخليج هو كونه حكومياً في المقام الأول. إن ما عنيناه بأزمة الهيمنة الطبقية في البحرين لا يشمل الأزمة ما بين هيمنة قسمين (بما إننا قلنا إن القسم غير الحكومي هو واقع كلياً تحت الحكومي، وقاعدته الاقتصادية ضعيفة)، بل أزمة هيمنة القسم الحكومي نفسه (من حيث قاعدته الاقتصادية)، أو في إقرار هيمنته — دون أن يعني ذلك أنه لن يتجاوزها في وقت قريب. التناقض الواقع ما بين القطاع الحكومي والقطاع الخاص ليس حاداً، ولن يكون كذلك، بما فيه الكفاية ليقود إلى أزمة هيمنة طبقية ما بين الطبقة المسيطرة نفسها. ولكن رغم أن التناقض ما بين الطبقات الشعبية والطبقة المسيطرة في تزايد مستمر فإن ذلك، في مثل الوقت، لن يقود إلى حالة من أزمة عامة — إذ أن الطبقات الشعبية نفسها غير موحدة (وهذه مشكلة تعود إلى الممارسة السياسية لليسار).

هناك مؤشرات للتعافي من الأزمة الاقتصادية لكن ليست هناك أية مؤشرات لتراجع الإجراءات التي تضيق الحياة اليومية للطبقات الشعبية حتى وإن تعافت البحرين من أزمتها الاقتصادية. إن الصراع ضد هذه الإجراءات، إما عبر العمل النقابي أو البرلماني، سيشكل مدى هذا التضرر أو التعافي منه كذلك — وقريباً جداً ستجد الطبقات الشعبية بأنها واقعة تحت قبضة رأس المال الحكومي وغير الحكومي (الخاص) على حد سواء (لا واحدة دون الأخرى). ولن يخفف شيء وطأة هذه القبضة إلا وعي طبقي بهذه الأزمة بالتحديد. لكن هذه القضية تشكل مفتاحاً للأزمة في سياقها السياسي؛ ولهذا حيز خاص في حلقة أخرى من هذه السلسلة.

مهـــارات التعليـــم في القـرن الـواحـــد والعشـــريـــن

د.فاضل حبيب

نتيجة للتحولات الكبيرة والمتسارعة التي طرأت على المجتمعين المحلي والعالمي، كان لزامًا علينا إعادة النظر في التعليم برؤية كونية وغير مألوفة بعض الشيء، ومحاولة البحث عن الإجابات لبعض الأسئلة الملحة والمعمّقة من قبيل: أين نحن من المساءلة التي هي المحور الأساس في تقرير التعليم للجميع لعام 2017م؟ وما دلائل ومؤشرات بلوغنا على المستوى المحلي للهدف الرابع للتنمية المستدامة (ضمان التعليم الجيد والمنصف والشامل للجميع وتعزيز فرص التعلّم مدى الحياة للجميع)؟ وهل أن التعليم يمثل بالفعل مسؤولية مشتركة؟ وما مسؤوليةالحكومات في حماية الحق في التعليم؟ وما دور المواطنين والحراك الطلابي ووسائل الإعلام المتنوعة في التعليم؟ وهل يا تُرى لا زالت مؤسساتنا التعليمية تتحمل العبء بشكل مباشر أمام الحكومات وبشكل غير مباشر أمام الطلبة وأولياء أمورهم؟ وما دور منظمات المجتمع المدني في رسم السياسات والممارسات المدرسية؟ وما مسؤولية المعلمين في صياغة سياسات مساءلتهم الخاصة بهم؟ وما مسؤولية أولياء أمور الطلبة باعتبار التعليم مسعىً مجتمعيًا مشتركًا؟ وما دور المنظمات الدولية في مساعدة البلدان على وضع أهداف مشتركة في مجال التعليم وإنشاء آليات التنفيذ؟ وأخيرًا ما الدور الذي يضطلع به القطاع الخاص في الارتقاء بالتعليم وتحسين جودته ومخرجاته؟ وغير ذلك من الموضوعات التي تضمنت في التقرير الدولي. في فبراير الماضي 2019م أطلقت هيئة جودة التعليم والتدريب في مملكة البحرين الإطار الجديد لمراجعة أداء المدارس الحكومية والخاصة، وهذا الإطار يولي في مقدمته اهتمامًا بالغًا للمهاراتالمطلوبة بالنسبة للمتعلّم وبأنها تمثل أمرًا أساسًا، بغية الوصول إلى فردٍ قادرٍ على التعامل مع متطلبات المراحل اللاحقة لتخرّجه من المدرسة؛ سواءً كانت متعلقة بمتابعة تعليمه العالي أم الانخراط في سوق العمل، كما يركز الإطار ذاته على تطوير المخرجات التعليمية لها، من خلال الاستناد إلى مهارات القرن الواحد والعشرين.

وتأتي أهمية مهارات القرن الواحد والعشرين باعتبارها منطلقًا لمجالات الإطار ومعاييره، بحيث تفرز العملية التعليمية أفرادًا متمكنين من المهارات الأكاديمية والحياتية الداعمة، وقادرين على التأقلم والمنافسة ومواجهة التحديات، فهذه المهارات تهدف إلى توحيد الرؤية واللغة فيما يرتبط بالمتوقع من الطلبة عند استكمالهم المراحل التعليمية المختلفة، وتقليص الفجوة بين مخرجات التعليم، ومتطلبات سوق العمل.

حدّد الإطار الجديد لمراجعة أداء المدارس ثمانية مهارات أساسية للقرن الواحد والعشرين وهي على النحو الآتي: 1ـ مهارة المواطنة المحلية والعالمية 2ـ مهارة التفكير الناقد 3ـ مهارة التواصل والعمل الجماعي 4ـ مهارة الإبداع وحل المشكلات 5ـ مهارة القيادة وصنع القرار 6ـ مهارة الريادة والمبادرة 7ـ مهارة الثقافة التكنولوجية 8ـ مهارة التمكن اللغوي.

بطبيعة الحال، فإن هذه المهارات الثمانية ليست منفصلة عن بعضها البعض، وإنما هي مترابطة إلى حد كبير وكأنها وجدت لتكون هكذا متداخلة مع بعضها، وهنا يأتي دور معلّم ومتعلّم القرن الواحد والعشرين للارتقاء بمنظومة التعليم وإيجاد واقع تعليمي متطور وبرؤية كونية، قادرة ليس فقط على تزويد المتعلمين بمجموعة من المعارف والمعلومات، وإنما بتدريبهم على اكتساب المهارات والقيم الكونية التي نصت عليها الأهداف الـ 17 للأمم المتحدة في مجال التنمية المستدامة. ولنأخذ على سبيل المثال: مهارة المواطنة المحلية والعالمية، وهي مهارة مرتبطة بالقيم المدرسية وذات بُعدٍ أممي، حيث بإمكان معلّم ومتعلّم القرن الواحد والعشرين ابتكارً أنشطة صفية من قبيل: ركن المواطنة وحقوق الطفل/ حقوق المرأة/ حقوق الإنسان/ حقوق كبار السن (توزيع الأدوار في التمثيل)/ حقوق ذوي الإعاقة، مسابقة صفّي أجمل، الانضباط وإدارة الوقت، المحافظة على الممتلكات، ترشيد استهلاك الكهرباء وما إلى ذلك.

وثمة أنشطة لا صفية لا تقل أهمية عن الأنشطة الصفية عند تطبيق مهارة المواطنة المحلية والعالمية، مثل توظيف برنامج الطابور الصباحي أو الإذاعة المدرسية في عرض مسرحية تهدف إلى تنمية الوعي بأهداف التنمية المستدامة كالتغيّر المناخي، أو الاهتمام بالحديقة المدرسية والمساحة الخضراء في الفضاء المدرسي أو ابتكار المشاريع البيئية التي تضمن لنا الاستدامة مثلاً في الأمن المائي أو الأمن الغذائي أو الطاقة المتجددة، أو القيام بالحملات اليومية التي يتشارك فيها كل من الطلبة والمعلمين في الفضاء المدرسي لمنع رمي المخلفات أو النفايات التي لا تليق بالمجتمع المدرسي، وتفعيل اللجان والبرلمانات الطلابية للمساهمة في تكريس مبدأ الحقوق والمسؤوليات والاحترام في الحرم المدرسي، والانخراط في برنامج المدارس المنتسبة لليونسكو، أو المدارس المعززة للمواطنة وحقوق الإنسان.

بطبيعة الحال، فإن مهارت التعليم للقرن الواحد والعشرين تعدُّ مهمة للجميع، ذلك أن الحقائق العلمية تشير إلى أن نحو 80٪ من الوظائف ستختفي بعد عقدين من الزمان، وبأن المعلومات تتضاعف كل عقد من الزمان، ولا توجد وظيفة محددة للأشخاص في المستقبل، فقد يكون لديهم 4 أو 5 وظائف، أي أنهم سيحتاجون إلى 4 إلى 5 مهارات أساسية من حزمة مهارات التعليم في القرن الواحد والعشرين.

زبدة القول، إذا أردنا تطويرًا حقيقيًا ملموسًا وجوهريًا في التعليم فلا بد أن يكون شغلنا الشاغل هو إيجاد نظام تعليمي يكون دوره الأساسي تعليم الطلبة كيف يتعلمون، وماذا كانت توقعات المتعلمين من المدرسة ولَمْ تقدّمها لهم؟!

الحقائق العلمية تشير إلى أن نحو ٨٠٪ من الوظائف ستختفي بعد عقدين من الزمان

عن قائمة المظلومين في حياتنا

كم مرة وجدت نفسك تترفع على الآخر أو تهينه أو لا تعيره انتباهك بسبب شكله أو هيئته او حديثه أو مستوى تعليمه أو تواضع مهنته، كثير منا يفعل ذلك بوعي أو دون وعي أحياناً، فثمة أفكار مسبقة مستقرة في أعماق وعينا الباطن معطوفة على مسلمات وبديهيات راسخة لم نتخلص منها لأننا لم نختبرها ولم نراجعها ولم نتفحصها، وهكذا ما ان تسنح الفرصة حتى تظهر على السطح بشكل فج وصارخ او متوار يتمثل في لغة الجسد وحركاته وايماءاته فتفضحنا وتعري ادعاءاتنا وشعاراتنا الشكلية ذات المضمون المغاير تماما لحقيقتنا، ولو بحثنا في الأسباب فسوف نجد ان ظلمنا للأخر ناجم من الموروث الاجتماعي والامثال المتداولة وانعدام الممارسة الديموقراطية وغياب لغة الحوار والتحليل النقدي وضعف ثقافة حقوق الانسان التي لم تطرق مجتمعاتنا الا في السنوات الأخيرة.

عصمت الموسوي

وهو ما يحول بيننا وبين انتهاج وتطبيق مبدأ العدالة والمساواة في تعاطينا مع الاخر، ثم هل ننسى النظرة المتخلفة لكل ما هو مختلف عنا، وانعدام القدرة على رؤية هذا الاختلاف بوصفه عنصر اغناء واثراء لتجربتنا الحياتية، لكن الآفة الكبرى باعتقادي هي تعظيم الذات المبالغ فيه والذي يبلغ حد المرض، اذ نعطي لأنفسنا قدرا كبيرا جدا في مقابل الاستهانة بالأخر او النظر اليه بدونية واستعلاء او الغاء وجوده ،ما يشي بحجم الاستبداد الفكري الذي نتعاطاه ونمارسه تجاه غيرنا، ولأنه استبداد متأصل ومتجذر لم يتم فحصه ولم يمتحن كما سبق واشرت، فأنه يفعل فعله الظالم المدمر في علاقاتنا وفي تقييمنا واحكامنا

وربما بعد زمن، حين نكبر وننضج وتتسع دائرة معارفنا وفكرنا الحقوقي تحديدا، او قبلها حين نتعرض لتجارب مماثلة وحالات مشابهة تترك اثرا عميقا في نفوسنا، ربما عندها قد نستوعب الدرس فنرى ان قائمة المظلومين في حياتنا طويلة ومتنوعة، وقد لا تقتصر هذه القائمة على الاخرين والغرباء بل تمتد أحيانا الى اقرب المقربين ابناءنا وازواجنا واخوتنا واصدقائنا وكل أولئك المحيطين بنا، حتى معلمينا ومعلماتنا في المدارس والجامعات لم ينجو من ظلمنا وقسوة احكامنا وسياط جورنا، فننحاز الى هذا ونعرض عن ذلك ،نكيل المديح لمن نهوى ونحب ونمارس التعسف والاحكام الجائرة والنقد الجارح والكلام المؤذي ضد من لا تروق لنا اشكالهم او أفكارهم ومعتقداتهم الدينية والسياسية والثقافية، وربما نكون ودون قصد منا قد تسببنا في احداث جروح عميقة واهانات انتجت عقدا وألما وامراض نفسية لأصحابها، فهل نجرؤ على مراجعة انفسنا وطلب الصفح والتسامح ممن اجرمنا بحقهم لإراحة ضمائرنا؟ لدى المتصوفة قول روحي مأثور: «موتوا قبل ان تموتوا» أي تحللوا من كل الارتباطات والمعيقات الجسدية والنفسية كي تنطلقوا الى الحياة مجددا بشكل حر وواع وجميل ،انها اليقظة الحقيقية والمراجعة الدقيقة التي لا تتحقق الا عبر الإبحار في اعماقنا ورصد افكارنا وكلامنا وممارساتنا المعلن منها والخفي، وتبين مدى انسجامها مع شرعة حقوق الانسان ،والتي ربما تعيق تقدمنا الإنساني والمعرفي والروحي والثقافي.

لقد بدأت بهذه المقدمة كي اروي لكم حكاية وقعت لي وكيف انني ظلمت – الى حد ما – قارئا متميزا وكاتبا واعدا لان خط يده لم يرق لي او بالأحرى لم استطع فك طلاسمه ، كنت وقتها ادير صفحة بريد القراء في صحيفة اخبار الخليج في منتصف أعوام الثمانينات،واتلقى العديد من الرسائل المكتوبة بخط اليد وفق ما هو شائع في تلك الأيام، وكنت انحاز للخط الجميل الواضح لإنه مريح لي ولموظفي الطباعة والتصحيح، وتلافيا للأخطاء التي كانت شائعة في صحفنا عندئذ والتي كنا نحاسب عليها يوميا، وهناك قارئ اهملت رسائله مرارا، ولم التفت اليها ولم أحاول الاتصال به او التفاهم معه، بل انني تخيلت وجهه شبيها بخطه\، الى ان جاءني قاصدا ومعاتبا، استخرجت رسائله من درجي ، وقلت له بكل صراحة: خطك غير مفهوم ، ذكرت له مقولة منسوبة للأمام علي من ان «الخط الحسن يزيد الحق وضوحا» قال: الخط كالحظ لا يقدر المرء على تغييره، قلت له: اذن تعلم الطباعة، أو اعطي مهمة كتابة رسائلك لأبنائك، لملم رسائله القديمة من فوق درجي ومضى صامتا حزينا.

بدا لي وكأن لا قدرة له على احداث هذا التغيير البسيط والبدء بتعلم شيء جديد، بعدها بسنوات: تلقيت هدية من هذا الكاتب وهو عبارة عن "الإصدار الأول له» ووجدتني امام كاتب جاد ورصين ولغة عربية عالية الجودة والبلاغة والفصاحة والنحو، وتتالت الإصدارات، وصار ذلك الكاتب الصغير المغمور الذي تعرض للإقصاء بسبب خطه زميلاً لنا في صفحات الرأي.

في الإهداء كتب لي: «إلى الزميلة التي ظلمتني وحالت دون نشر رسائلي بحجة رداءة خطي، أهديها كتابي الأول، وأتمنى أن ينال استحسانها».

(قف)

فنزويلا والغزو الأمريكي!

«الوقاية من ترامب» عنوان مقال خبير المعهد الروسي للدراسات الاستراتيجية، إيغور بشينيتشنيكوف، في «ازفستيا» حول سيناريوهات تطور الأحداث في فنزويلا واحتمال التدخل العسكري الأمريكي (المصدر موقع روسيا اليوم فبراير ٢٠١٩).
وجاء في المقال: «في مقابلة مع شبكة سي بي سي، قال الرئيس الأمريكي دونالد ترامب بصراحة إن استخدام القوة العسكرية الأمريكية ضد فنزويلا «هو أحد الخيارات». الآن، كل شيء واضح للغاية: تستعد الولايات المتحدة للغزو.

فهد المضحكي

وهذا واضح أيضاً على خلفية تعثّر الإنقلاب الذي نظمته واشنطن في فنزويلا، فقد راهنوا في البيت الأبيض على سرعة تنفيذ خطتهم، وهذا الظرف بلا شك هو الذي يجعل الولايات المتحدة تحاول امتلاك زمام الأمور لإطلاق العنان للأزمة الفنزويلية لمصلحتها، وفي هذه المرحلة، من الممكن تنفيذ ذلك بثلاث طرائق على الأقل:

الأولى: كسب الجيش الفنزويلي وقوات الأمن إلى جانب المعارضة، ولم يتحقق ذلك حتى الآن، والثانية: القيام بغزو مسلح مباشر للبلاد، والثالثة: ليس هناك في فنزويلا، الآن، سلطة مزدوجة، فالرئيس الشرعي يسيطر على الوضع، وبالتالي فالوقت يلعب ضد البيت الأبيض، ما يعني أنه ينبغي على الولايات المتحدة اتخاذ إجراءات جذرية في المستقبل القريب، وربما حتى ضد مادورو شخصياً. لذلك يغدو أمنه الشخصي أولوية قصوى لفنزويلا.

تحت أي ذريعة يمكن للولايات المتحدة غزو فنزويلا؟ الذريعة التي تسمى «كارثة إنسانية» نجحت في العديد من دول العالم. يمكن استخدام مخيمات اللاجئين الفنزويلية، الموجودة في البرازيل وكولومبيا بالقرب من الحدود مع فنزويلا، كأداة لخلق الصورة التلفزيونية المرغوبة. ستستمر القنوات التلفزيونية الامريكية على مدار الساعة بعرض الفنزويليين الذين «أوصلهم مادورو إلى يأس».

إلا إن تلاعب واشنطن بالرأي العام العالمي يعاني صعوبات. فحتى بين دول أمريكا اللاتينية الأقرب إلى واشنطن، رفضت كل من المكسيك وأوروغواي المشاركة في حملة تشويه كاراكاس التي أطلقتها «مجموعة ليما» تحت اشراف واشنطن!

وتكشف الحقائق أن الولايات المتحدة تقود علناً الانقلاب الجاري تنفيذه في فنزويلا، فالعقوبات الاقتصادية، والضغوط السياسية والحملة الإعلامية غير المسبوقة، كلها موجهة لخلق ميزان قوي افتراضي غير موجود على أرض الواقع، وبعيد عن مجريات الأحداث الحقيقية، اعتراف الولايات المتحدة بخوان غوايدو بعد خمس دقائق من تنصيب نفسه، متبوعاً باعتراف كل الدول الخاضعة للولايات المتحدة في أمريكا اللاتينية والكاريبي، كما وجزء مهم من دول الاتحاد الأوروبي، يفضح التواطؤ والتعطش الأمريكي للاستيلاء على ثروات البلاد، وتحديداً النفط الذي يمثل أكبر مخزون في العالم، بالإضافة إلى المعادن الثمينة وفي مقدمتها الذهب.

يقول المحلل السياسي الروسي الكسندر نازاروف على الرغم من أن فنزويلا هي دولة غنية بالنفط، إلا أنه من الواضح للجميع أن الاقتصاد الفنزويلي منهار للغاية، حيث يجتاح البلاد تضخم هائل، ويعاني المواطنون من عدم توفر العديد من السلع، بينما تتصور الأغلبية أن ذلك إنما يعود للتجارب الاشتراكية التي قام بها كل من تشافيز ومادورو، إلا أن الأزمة أعمق واقدم من ذلك بكثير، والأهم أنها لا تملك أي حلول إيجابية بصرف النظر عمن يقود البلاد.

إن وصول شافيز للسلطة وتحوّله إلى سياسات أكثر اجتماعية وشعبوية كان نتيجة لأزمة اقتصادية عقب محاولة تطبيق نموذج تطوير فنزويلا كشبه مستعمرة ومصدرة للمواد الخام للولايات المتحدة الامريكية، التي لم تتوان عن سرقته بلا هوادة، وليس الفقر الاقتصادي الحالي سوى خطوة واحدة على طريق الألف ميل.

لا يوجد أمام حكومة أي دولة سواء فنزويلا أو حتى الولايات المتحدة الامريكية، حيال الأزمة الاقتصادية وانخفاض المستوى المعيشي للمواطنين سوى طريقين للحفاظ على السلطة وتجنب فوضى الإنهيار التام للدولة: فأما الديكتاتورية وقمع المظاهرات بقوة، أو اللجوء إلى توزيع خيرات وموارد الدولة على نحو أكثر عدالة، واجتماعية بين المواطنين، والطريق الأخير هو ما سلكه شافيز ومن بعده مادورو، لكنهما مع ذلك ليس سوى بيدقين صغيرين على رقعة التاريخ، وكلاهما ليس سبباً وانما نتيجة لعملية طويلة وكبيرة من سقوط فنزويلا، التي حافظت على نفسها من الإنزلاق طويلاً اعتماداً على المساعدات الخارجية، وبالذات من الصين وروسيا وكوريا، ولن تتغير الأمور برحيل مادورو إلا إلى أسوأ لأن الولايات المتحدة الأمريكية تعودت على الأخذ لا العطاء، ولن تتكفل يوماً بفنزويلا.

وأياً كان القفاز الأمريكي الذي ستضعه واشنطن على رأس السلطة هناك، لن يكون أمامه سوى الاختيار ما بين الطريقين: قمع الشعب بالقوة أو اللجوء إلى الاشتراكية من جديد، لأن العالم بأسره يتهاوى نحو الأزمة، ولن يكون هناك أي فرصة لفنزويلا للوقوف على قدميها، كما أنه من الصعب أن يؤدي قمع الشعب إلى أي نتائج إيجابية.

هل للسلمية دور في نجاح انتفاضتي السودان والجزائر؟

حميد الملا

"إن الناس يقدرون الربيع، ولا يقدرون الشتاء لكن لايوجد ربيع دون شتاء ممهد له"

جلال الدين الرومي.

ربما الحمل الكاذب الذي ظلّت الشعوب العربية تئن به وتتألم وتعاني طوال فترات، أنجب اخيراً انتفاضات رغم تلك المعاناة والآلام والأوجاع، فالبعض من تلك الانتفاضات أجهز عليه والبعض الاخر قاوم رغم الحصار الداخلي والخارجي، إلا ان الأمل يحدو الشعوب العربية فى ان تكون انتفاضتي السودان والجزائر مختلفتين باتجاه الاستفادة مما حصل لبلدان الربيع العربي من انتكاسات أدت الى إجهاض تلك الثورات، فصحوة الشعبين السوداني والجزائري أثمرت حراكاً يتسم بالنضوج والتنظيم الدقيق والسلمية التي فاقت كل التصورات.

فمنذ ان ابتلى كلا الشعبين بحكومات جثمت على صدورأبنائهما بين العشرين كما هو حال بوتفليقة في الجزائر والثلاثين سنه في ظل حكم البشير في السودان، والشعبان يعيشان حالة مزرية رغم غناهما بالثروات، فتلك الأنظمة الفاسدة أفقرتهما وسرقت ابسط حقوق المواطنين وما تبقى لهم من أحلام في الحرية والديمقراطية والتقدم.

رغم اختلاف ظروف البلدين؛ إلا أن المشترك بينهما هو أن كلا الشعبين عانى من سطوة الأحزاب الدينية، ومن هذا المنطلق رجعت لأحداث الجزائر اثناء العشرية السوداء في التسعينات من القرن الماضي عندما أوشكت الجبهة الاسلامية الاستيلاء على السلطة لتعيث فسادا ودمارا وخرابا لتعيش الجزائر في ظلام دامس طوال تلك السنوات العجاف، كما هو الحال في السودان في ظل حكم الإخوان المسلمين والدمار الذي لحق بالشعب السوداني جرّاء تلك السياسات.

اللروائي الجزائري واسيني الأعرج رواية جميلة عن أحداث تلك الفترة وددت ان استقصي أحداثها من خلال معاناة كلا الشعبين الجزائري والسوداني لتشابه الجهة المعنية عن سلوكيات تلك الحقبة وأعني بذلك الاحزاب الدينية.

ففي روايته (ذاكرة الماء) يقول واسيني: «لقد اختاروا عندما انتخبوا الجهل والوعي الذي قاد إلى هذه الحالة يتحمله الناس الذين حكموا البلاد منذ ثلاثين سنة. الجهل والأمية والنهب، لا ينتخبون إلا بدائلهم)».

فى الجزائر كان البديل للحكم الشمولي هي الفاشية الدينية وأحزابها الممثلة في الإسلام السياسي لتذيق الشعب ألوان من العذاب والتنكيل عندما تهيأت لها الفرصة لتكون البديل الأسوأ على الإطلاق. فالقتل والسحل وبقر البطون وقطع الأعناق والتمثيل بالجثث، أساليب ابتكرها الفتلة وأبدعوا فيها ايما ابداع.

يوصف لنا الأعرج حال الضحايا عندما تبطش بهم تلك العصابات الفاشية، «أنا متأكد إن يوسف لا يطلب العذر ولا الصفح عن جريمة لم يرتكبها، ولكن لابد أن يكون قد طلب منهم استعمال المسدس بدل السكين الباردة، لكن هستيريتهم وساديتهم فعلت غير ذلك، فقد ذبحوه وقطعوا رأسه، ثم بعد ذلك ملأوا جسده النحيف بالرصاص».

فهل هنالك أشنع وأبشع من هذا التمثيل بالمواطنين والذين لا ذنب لهم سوى انهم يختلفون مع تلك الأحزاب فى الرؤية والأسلوب والمنهج السياسي والفكري وطرق الحياة، فأحزاب الاسلام السياسي عندما تصل إلى سدة الحكم تلجأ لمختلف الأساليب للبطش بمعارضيها فتجربة الجزائر في العشرية السوداء والسودان في ظل حكم البشير ماثلة للعيان، وخير برهان على ما آلت اليه الأوضاع في كلا البلدين.

في موضع أخر يقول واسيني الأعرج: «الذين خربوها عايشين مثل الملوك يا صاحبي وحوّلوا ثلاثين مليون مواطن الى فئران تعيش بذعر داخل غيران مسدودة لم تعد قادرة على تحملها».

وهذا التوصيف لواسيني الأعرج دقيق جداً لحال كلا الشعبين وما عملت عليه العصابات الحاكمة في كلا البلدين، فالأموال تتدفق على البطانة الفاسدة لتنعم بخيرات البلد والشعب يعيش فى جحور ويقتات الفتات على الرغم من غنى كلتا الدولتين.

فقد وصل حال الشعوب العربية إلى الدرك الأسفل بفعل ممارسات الحكام وتسلطهم وجشعهم وساديتهم مما أوصل تلك الشعوب إلى الخيارات الأصعب في اللجوء الى الانتفاضات والثورات لنيل حقوقها المشروعة في الحرية والكرامة والعيش الكريم بعد أن حوّلوا الأوطان إلى أقبية للخوف والجوع والحرمان من أبسط الحقوق التى يجب أن يتمتع بها المواطن.

وللمثقفين نصيب من النقد اللاذع في رواية واسيني الأعرج «ذاكرة الماء، إذ يقول «للمثقفين الديمقراطيين قسطهم في الحماقة فقد ضاعوا في الخطابات المهيمنة راحوا يبحثون عبثا عن التقدمية والاشتراكية في فكر القرامطة والزنج وأبي ذر الغفاري وغيرهم وبر الوالدين وأطالوا في عمر الميتافيزيقيا".

فهل يا ترى يعيد المثقفون كما يود الروائي واسيني الأعرج حساباتهم ويصوبوا بوصلتهم نحو التوجه لشعوبهم وإعادة التفكير في تحالفاتهم؟ فالمثقفون في كلا البلدين عانوا أشدّ المعاناة من تلك الجماعات، وطالتهم يد الإرهاب لتفتك بخيرتهم وتفتل العشرات بل المئات منهم، مما جعل واسيني الأعرج يدق ناقوس الخطر والتحذير والخوف من تسيّد هذه الجماعات على الشارع السياسي في أي بلد لما لمنهجيتها الإقصائية ولأساليبها الفاشية في التعامل مع الآخر المختلف، وهنا يقول واسيني "أيدينا صارت مقيدة، الأصدقاء يذبحون يوميا ننتظر دورنا بهدوء وخوف".

فبانتصار ثورتي الشعبين السوداني والجزائري عما قريب؛ لا خوف بعد اليوم فقد أدركت القوى الثورية أهمية النضال المشترك والتعايش المشترك لمختلف القوى لانتصار أية ثورة.

فمن الملاحظ بأن مقدار التنظيم والدقة في الشعارات والوضوح في الرؤية لكلا الانتفاضتين سمة من سماتهما، الأمر الذي أدى إلى عجز كلا النظامين عن حرف مسيرتهما وتخريب حراسهما كما حصل في بلدان أخرى عندما هبت الشعوب للمطالبة بالإصلاح والتغيير، فما كان من تلك الأنظمة سوى الرد على تلك المطالب بتخريب تلك الثورات من الداخل بزرع الجواسيس وغيرها من تلك الأساليب المجربة للديكتاتوريات.

وكما يقول الروائي السوداني الطيب صالح في روايته "موسم الهجرة إلى الشمال": "نُعّلم الناس لنفتح أذهانهم ونطلق طاقاتهم المحبوسة. ولكننا لا نستطيع أن نتنبأ بالنتيجة- الحرية. نحرر العقول من الخرافات. نعطي الشعب مفاتيح المستقبل ليتصرف فيه كما يشاء".

فهل ستتحقق نبوءة الطيب صالح بأن مفاتيح الانتفاضتين الجزائري والسوداني في أيادي كلا الشعبين وينعموا بالحرية والديمقراطية وينتصرا على تلك الأنظمة الغاشمة رغم مختلف المعوقات والمناورات؟.

بين إفساد الفقراء .. وإفساد اليسار

ثمة مقال للكاتبة التقدمية أمينة شفيق نُشر خلال عهد الرئيس المصري الأسبق حسني مبارك في مجلة «الكتب .. وجهات نظر في الثقافة والسياسة والفكر» / فبراير ٢٠٠٦، تحت عنوان «إفساد الفقراء !»، ومازال هذا المقال يحتفظ بقيمته حول أوضاع الديمقراطية في أقطارنا العربية التي لم تكد تتغير، بل تدهورت إلى الأسوأ، وبضمنها تلك التي تتبنى دساتيرها على الورق إقامة حياة برلمانية ديمقراطية لكنها مقيّدة بألف قيد وقيد، ناهيك عما يتكرر عادةً من فضائح مُخزية تشوب المشهد الانتخابي في هذه الأقطار والمنافية لأبسط معايير الشفافية والنزاهة في كل دورة انتخابية جديدة، فكأن المياه مازالت ساكنة في مجرى النهر العربي لم يتغيّر شيىء طوال هذه السنين التي مرت ولم تشهد أحداثاً جساماً لتحرك تلك المياه بدءاً على وجه الخصوص بما عُرف بأحداث الربيع العربي المجهض مطلع عقدنا الجاري .

رضي السمّاك

وفي هذا المقال تميط الكاتبة شفيق اللثام عما شاب المشهد الانتخابي البرلماني في مصر عام 2005 من تجاوزات صادمة أبطالها تحالف المال السياسي لرجال الأعمال مع السلطة السياسية عبر نفوذها الاجتماعي وجبروت جهازها البوليسي القمعي، وتوظيف مجاميع البلطجية إذا لزم الأمر لتزوير الإرادة الشعبية وتنجيح الوجوه المراد تفويزها، حتى لو تطلب الأمر انتهاك القوانين التي سنتها السلطة نفسها ومررتها بفضل الغالبية الموالية لها والتي يتم تفوزيها في الانتخابات البرلمانية المتعاقبة.

أما أبرز ضحايا تلك الفضائح الإنتخابية فهم الناخبون الفقراء والمعدمون الذين تُغتصب أصواتهم وتُشترى عنوةً بالتحايل سواء من خلال وعود خدمية كاذبة وشعارات برّاقة فاقدة لأي مصداقية، أو رشاوى مالية وعينية باستغلال عوزهم وفقرهم الشديد، واستغلال أيضاً أفتقادهم للحد الأدنى من الوعي السياسي الذي يمكّنهم من انتخاب ممثليهم المؤتمنين حقاً على مصالحهم الطبقية الساعين من خلال برامجهم الانتخابية الواقعية الجادة لخلاصهم الجماعي الدائم باستشرافاته المستقبلية لا الخلاصات الفردية التي لاتغيّر جذرياً البتة من أوضاعهم المعيشية المزرية المستديمة.

ثمة حالات عديدة رصدتها الكاتبة في ذلك المشهد الإنتخابي واستشهدت بها كأدلة على مظاهر إفساد الفقراء الناخبين بدفعهم للتصويت لصالح رجال الأعمال ورموز السلطة الفاسدة، وهي مظاهر تكاد تتشابه مع معظم الدول العربية التي تنص دساتيرها في ورق كُتيباتها الجميلة على الانتخاب الحر للسلطة التشريعية والفصل بين السلطات الثلاث واستقلال السلطة القضائية، ومن هذه الحالات ما حدث في محافظات في الوجهين البحري والصعيدي. ففي محافظة المنيا – على سبيل المثال – قام عدد من المرشحين بتوزيع البطاطين والزيت والسمن على الناخبين الفقراء، وبخاصة ربات البيوت المعوزات أثناء الحملات الإنتخابية، وهو ما يقومون به عادةً مقدماً في مواسم رمضان (موائد الرحمن) والأعياد.

وثمة حالات أخرى رصدتها الكاتبة من خلال زيارات ميدانية قابلت خلالها ناخبين في عدة مدن وقرى من محافظات مصر لكن تحلى فيها الناخبون في التصويت –ذكوراً وأناثاً – بالنزاهة والوعي بمصالحهم الطبقية الحقيقية؛ فصوتوا لممثليهم الحقيقيين في عملية الإقتراع محبطين محاولات إرشائهم. لكن الكاتبة تخلص بوجه عام إلى أن الإفساد المالي المباشر أتجه بأحابيله لإفساد أكبر عدد ممكن من المهمشين – ذكوراً وإناثاً – لاقتناص أصواتهم، وبخاصة من هم في سن العمل، فيما توجه الإفساد العيني المخطط بعناية للإناث أكثر من الرجال، كما تخلص أيضاً إلى أن الفساد شمل المجتمع من قاعدته الاجتماعية الواسعة إلى قمته الأقل اتساعاً: فباتت مناطحته في غاية الصعوبة على حد تعبيرها.

ومع أن عنوان المقال جاء في كلمتين "إفساد الفقراء" واقتصرت كاتبته فيه على تناول مظاهر إفساد شرائح منهم في المواسم الانتخابية فقط؛ إلا أنه يمكننا إدراج تحت هذا العنوان القصير نفسه حالات وأشكال متعددة لإفساد الفقراء، سواء من قِبل سلطات الأنظمة الاستبدادية العربية، كتقديمها – على سبيل المثال لا الحصر – خدمات لعينات ونماذج محدودة ومختارة تمر بظروف طارئة سكنية أو معيشية كحال سائر أبناء فئتها أو طبقتها، ليقدم النظام العربي أو رأسه نفسه كعاطف أو مانح لهذا النموذج أو ذاك دون أن يشمل ذلك سائر أفراد الفئة أو الطبقة التي ينتمي إليها النموذج المحظي في ظل فشلها عن إيجاد حلول جذرية للأجوال المعيشية والسكنية المتدهورة التي تعيشها.

وثمة حالات اخرى من مظاهر إفساد الفقراء غير خافية إعلامياً تتمثل فيما تقوم به منظمات أو جماعات الجريمة شبه المنظمة، ليس تحت سمع وبصر السلطة العربية فحسب، بل وبتورط متنفذين في أعلى هرمها الحاكم في مثل هذه التجارات المُحرّمة أخلاقياً وتشريعياً وطنياً ودولياً بدوافع الجشع المالي ونهم جني الأرباح الطائلة من ورائها، بدءاً من تجارة السلاح الفردي، ومروراً بتجارة المخدرات والترويج لها، وليس انتهاءً بتجارة الجنس أو الرقيق الأبيض.

وكما هو معروف فإن الغالبية العظمى ممن يمتهنون الدعارة أو يُجبرون عليها هم من الاطفال من الجنسين وصبايا وفتيات في سن البلوغ في معظم الدول العربية المبتلاة بهذه الآفات الإجتماعية، وينحدر جلهم من الطبقات الفقيرة، حيث تتلقفهم تلك العصابات الإجرامية لإيقاعهم في حبائلها بأغراءات شتى، ولتعرضهم بعدئذ في سوق النخاسة للرق الأبيّض، ومن ثمَ تُستباح كرامتهم الإنسانية ويضيع أي مستقبل دراسيي مُرتجى

لهم. وبرهنت الأحداث الأخيرة التي تناقلتها الصحافة و"السوشيل ميديا" على ما بلغه سماسرة تجارة الجنس والمخدرات في بعض دول المنطقة من خطورة؛ بحيث باتوا قادرين على اختراق فصول مدارس "التربية" والتعليم لمدّ شباك حبائلهم لإيقاع طلابنا وطالباتنا فيه.

ويتكامل مع هذه الغايات الدنيئة التي تتعرض لها الفئات الفقيرة والمهمشة ما تتعرض له أيضاً من تزييف لوعيها على أيدي إعلام السلطة العربية وقوى الإسلام السياسي بشقيه عبر استحضار الخلافات التاريخية الدينية وإيقاظ النعرات الطائفية والنفخ فيها بقوة وتأجيجها بهدف إشغال الفقراء وإلهائهم ودفغهم للتناحر المتبادل طائفياً داخل أبناء الطبقة الفقيرة الواحدة بدلاً من توحدها على النضال المشترك من أجل قضاياها المعيشية المصيرية. وبطبيعة الحال فإن المستفيد الأكبر من ذلك هم تجار الدين والأنظمة والذين يقض مضاجعهم جميعاً توحد هذه الفئات المهمشة والطبقات المسحوقة للنضال المشترك في سبيل حقوقه.

ولئن كان يمكن فهم مظاهر إفساد الفقراء البسطاء التي أستشرت في مجتمعاتنا العربية منذ نحو 30 عاماً حتى بلغت ذروتها غير المسبوقة وقتنا الحاضر، وذلك في ضوء قلة الحيلة وشدة وطأة الظروف المعيشية عليهم، وارتفاع معدلات البطالة وتدني الوعي السياسي والمستوى التعليمي، فضلا عن وجود نسبة من الأُمية مازالت كبيرة –، فلعل ما هو أنكى من ذلك وبالتزامن مع تلك المظاهر بروز شواهد جديدة متزايدة على إفساد أعداد غير قليلة من القوى والتيارات اليسارية التي قضت شطراً من أعمارها في معمعة النضال الصعب للدفاع عن قضايا الفقراء وقدمت تضحيات جليلة بهذا القدر أو ذاك من أجلها، لعل أقلها سجناً وتعذيباً ونفياً ومنعاً من التوظيف لسنوات طوال، وهذا بطبيعة الحال مما يضعف دور ومساعي اليسار نفسه الراهنة من أجل استعادة وتعزيز نفوذه على الساحتين الإجتماعية والسياسية لتمثيل الطبقات الفقيرة وتعميق وعيها السياسي باتجاه رسم خارطة الطريق الصحيحة والصبورة لهم لخلاصهم الدائم الجماعي؛ وتحذيرهم من مغبة الإنزلاق للبحث عن الخلاص الفردي الأناني المعزول عن المصلحة العامة لطبقاتهم وفئاتهم الإجتماعية الفقيرة كافةً مقابل بيع أصواتهم في مواسم الانتخابات، أو الاستسلام لمحاولات دفعهم نحو طريق الرذيلة والانحلال والتفسخ الخُلقي.

وفي رأينا أن حالات إفساد اليسار الفردية المتعددة، لا تتمكن السلطة العربية أو صحافتها منها إلا عند أعداد من اليسار والمثقفين الليبراليين الشرفاء (سابقاً) المهيئين مسبقاً لتقبل جرثومة الإفساد تحت مغريات شتى، أبرزها المرتبات والمكافآت السخية، إن لم يكن لهاثهم وطموحهم للوصول إلى مناصب من خلال سلسلة مقالات تملقية متواصلة عربوناً لما يطمحون إليه من بيع أقلامهم.

وأنت لتنتابك الدهشة اليوم في زمننا الحاضر الردئ كيف أرتضت أسماء عربية كبيرة بعضها من مشاهير الأقلام في الصحافة العربية، ومنها اللبنانية المعروفة بريادتها في الصحافة العربية لعراقة مهنيتها واتساع هامش حريتها في التعبير على تعدد توجهاتها الفكرية ، لتستكتبها بعض الصحافة ولتبيع أقلامها التي عُرفت بها ردحاً من الزمن في المبدئية والتحليل والموضوعي المتجرد، بحيث باتت اليوم لا تخجل من الانخراط في التنظير الرخيص لسياسات ومواقف أنظمة عربية مستبدة وتبرير سياساتها وتسويق مواقفها من خلال تدبيج مقالات بلغة" راقية" برعت فيها وإن تكن ليست سوى لغة ديماغوجية مراوغة في تلاعبها بالكلمات والعبارات، لكنها لا تنطلي إلا على القراء السذج السياسيين أو أنصاف الوعي السياسي.

أما بعضهم الآخر فلا يتورع عن التشهير بمجمل تياره اليساري بشتى روافده حتى في ظل انحساره الراهن متبعاً ازدواجية المعايير أو الكيل بمكيالين في شحذ نصال سن قلمه طعناً وحشياً ليس في اليسار برمته فحسب، بل وباختياره لوناً واحداً بعينه من الإسلام السياسي ونموذج نظامه السياسي الملهم له في المنطقة ليصب عليه جام انتقاداته اللاذعة الى درجة الانحدار والإسفاف، لا لشيء سوى تسخيره – قلمه – بما يطرب ويشنّف آذان السلطة العربية التي يتملقها مع إغفاله، بوعي وعن سبق إصرار، الشق الآخر من الإسلام السياسي من انتقاذاته اللاذعة إن لم يكن محاباته للشق المستثنى لذات الغاية الانتهازية. وهو لا يجد حرجاً في هذا الصدد بأن يزخرف مقالاته بلغة "يسارية" في هجومه على فئة بعينها من الإسلام السياسي بإسم نقد "الظلاميين" وغيرها من النعوت المبتذلة ومتغافلاً بذلك كلياً قضايا ومهام اليسار الراهنة الملحة الاخرى في الدفاع عن الفقراء والعاطلين، أياً تكن انتماءاتهم الدينية والعرقية، فضلاً عن مكافحة مظاهر الفساد والاستبداد، فكأنما مهام اليسار الراهنة محصورة فقط في المسألة الدينية عبر الاقتصار على استهداف هذه الفئة أو تلك الفئة من الإسلام السياسي.

وثمة كتّاب يساريون آخرون ليسوا بالضرورة ممن عرضوا أقلامهم للبيع لكنهم يقدمون خدمةً مجانيةً – بوعي منهم أو بدون وعي – حينما لا يتورعون عن شن حملات نشهيرية مسعورة جارحة في الصحافة العربية الخاضعة لتلك الانظمة بحق أحزابهم وتنظيماتهم اليسارية السابقة التي اختلفوا معها أو انسحبوا منها لأسباب أو مبررات شتي سواء بحق أو بدون وجه حق، لكنهم يتناسون المسؤولية التضامنية المشتركة في هذه الاخطاء بينهم وبين تنظيماتهم السابقة أيا كانت مواقعهم التراتبية التنظيمية السابقة في تلك الأحزاب والتنظيمات عوضاً عن أن يحافظوا في هذه الظروف الصعبة المعقدة الراهنة التي يمر بها اليسار على جسور من التفاهم والتواصل معها ومواصلة النضال والتنسيق المشترك من مواقعهم النضالية الجديدة المستقلة دون أن يعني ذلك بالضرورة عدم الإقرار بحقهم في التعبير والاختلاف معها شريطة أن يكون ذلك بلغة نقدية بناءة مهما تكن درجة صراحتها وليس مسعورة هدّامة يستفيد منها الأعداء الطبقيين، ومن ثمَ التجمّل بشعار لا يفسد للود قضية مشتركة.

العَيش ضمن التنوّع (١– ٣)

حول الخوف من الآخر والقلق على الذات

يُجادل الكاتب كنعان مَلْك Kenan Malik أن مُقاربة «مجتمع المُجتمعات» هي المسؤولة عن ظهور الشعور القبلي بالهوية لدى الجيل الثالث من المسلمين في أوروبا. يجب أن يكون رد الفعل تجاه التنوع حواراً سياسياً بدلاً من اللامُبالاة المُتخفيّة كاحترام. هل بإمكان أوروبا أن تكون هي نفسها مع وجود شعوب مُختلفة فيها؟ – هذا سؤال طرحهُ الكاتب الأمريكي كريستوفر كالدويل Christopher Caldwell في كِتابة المُعنون: تأمُلات حول الثورة في أوروبا (٢٠٠٩). إنهُ سؤال تمَّ طرحهُ بِصفةٍ مُلحة على نحوٍ مُتزايد في السنوات الأخيرة مثل قضية الهِجرة، وعلى وجه الخصوص الهِجرة الإسلامية، وقد أتخذ مركز الصدارة.

ترجمة:
غريب عوض

بقلم:
Kenan Malik

وفي قلب هذا السؤال أو القضية تقع معضِلة كيف يجب أن تكون استجابة المجتمعات الغربية لتدفق شعوب ذات عادات وتقاليد وخلفيات ومُعتقدات مُختلفة. ماذا يجب أن تكون حدود التسامُح في مثل هذه المُجتمعات؟ هل يجب أن يُجَبر المُهاجرون على استيعاب العادات والأعراف الغربية، أم أن الإندماج طريقٌ ذو اتجاهين؟ إن مثل هذه الأسئلة قد أوقعت السياسيين وصانعي القرارات السياسية في ورطة خلال نصف القرن الماضي. كما أنها، أي هذه الأسئلة، أربكت الليبراليين أيضا.

تفاقمت الألغاز حول التنوع بسبب المسألتين اللتين تُهيمنان الآن على الخطاب السياسي الأوروبي المُعاصر، أزمة الهجرة ومُشكلة الإرهاب. إن الطريقة التي نُناقش بها هذه القضايا، وكيف نربط الواحدة بالأُخرى، سوف تُشكّل شخصية المجتمعات الأوروبية خلال الفترة المُقبلة.

غالباً ما يُنظر إلى أزمة الهجرة كقضية أعداد. في عام 2015 وصل إلى الشواطئ الأوروبية أكثر من مليون مُهاجر غير شرعي. إن صور آلاف المُهاجرين وهم يعبرون بشكل مأساوي بحر إيجة، أو يسيرون مُتثاقلين عبر البلقان، أو وهم يصلون إلى محطات القطار في هنغاريا والنمسا وألمانيا، ملئت هذه الصور شاشات التلفاز عندنا معظم أيام العام الماضي. إنهم يعطون إحساساً بوجود قارة تحت الحصار، ويبدو أن الجميع يرغب في المجيء إلى أوروبا.

إن أعداد المُهاجرين القادمين إلى أوروبا كبيرة بالفعل. ولكن الأمرُ يستحق أن نضع هذه الأرقام في السياق. ويُشكّل مليون مُهاجر أقل من 0.2 في المائة من عدد سكان دول الاتحاد الأوروبي. فتُركيا وهي البلد الذي يتم ترحيل المُهاجرين إليه بموجب الاتفاق الموقّع مع الإتحاد الأوروبي، يبلغ عدد سُكانها سُبع سُكان الإتحاد الأوروبي، لكنها تستضيف بالفعل حوالي ثلاثة ملايين لاجئ سوري. وهناك فعلاً 1.3 مليون لاجئ سوري في لبنان – 20٪ من سُكان لبنان. وهذا يُعادل أوروبا التي تستضيف 100 مليون لاجئ. ولدى كلٍّ من باكستان وإيران ما يزيد على مليون لاجئ داخل حدودهُما.

وبتعبير آخر، بالفعل تتحمل بعض أفقر البلُدان في العالم العبء الأكبر عندما يتعلق الأمر بمُساعدة اللاجئين. وإذا ما تبنت هذه الدول موقف أوروبا فستكون هناك أزمة.

ومع ذلك، نادراً ما تدور النقاشات حول الهجرة عن الأرقام، إن أغلبها يدور حول من هُم المُهاجرون، وعن المخاوف الكامنة وراء الأمة والمجتمع والهوية والقيم. يقول رئيس الوزراء الهنغاري فيكتور أوربان Viktor Orbán 'يجب أن لا ننسى'، حيثُ قامت هنغاريا ببناء أسوار جديدة على الحدود، وأدخلت قوانين جديدة صارمة لمُكافحة الهجرة، إن الناس الذي يأتون إلى هُنا نشئوا في ديانة مُختلفة ويُمثلون ثقافة مُختلفة تماماً. أغلبهم ليسوا مسيحيين، بل مُسلمين'. ويتساءل، 'إلا يُشكلُ هذا قلقاً'، حيثُ أن الثقافة المسيحية الأوروبية بالكاد قادرة بالفعل على الحفاظ على مجموعتها الخاصة من القيم المسيحية؟'

يُردِدُ الكثير من المُفكرين المسيحيين وغير المسحيين، المُتدينين وغير المُتدينين، صدى هذا الخوف من الهجرة الإسلامية إن تقوض الأُسُس الثقافية والأخلاقية للحضارة الغربية. الكاتبة الإيطالية الراحلة أوريانا فلاتشي Oriana Fallaci، التي روجت ربما أكثر من غيرها لفكرة يوريبيا Eurabia أوروبا العربية، الاعتقاد بأن أوروبا تتمُ أسلمتها – تصفُ نفسها بـ 'المُلحِدة المسيحية' تؤكد على أن المسيحية وحدها فقط هي التي أمَدّت أوروبا بالتحصين الثقافي والفكري ضد الإسلام. أما المؤرخ البريطاني نيل فيرغوسون Niall Ferguson الذي ينعت نفسه بإسم 'المُلحد غير قابل للشفاء'، ومع ذلك يشعر بالإنزعاج من تدهور المسيحية الذي يُقوّض "أية مُقاومة دينية" للإسلام الراديكالي. واليهودية غير المؤمنة مالاني فيليبس Melanie Philips، تذكر في كِتابها بعنوان، "العالم انقلب رأساً على عقب (2009)» أن المسيحية تتعرض لهجوم ثقافي مُباشر مُتواصل من قِبَل أولئك الذين يُريدون تدمير القيم الأساسية للحضارة الغربية'.

إن النظر إلى الهجرة بهذه الطريقة ، أُريد أن أقترح، هو سوء فهم لماضي أوروبا ولحاضِرُها معاً. ولكي نفهم السبب، أُريدُ أولاً استكشاف سؤالين أساسيين، الذي يجب أن يؤطر الجواب لكليهما أي نُقاش حول الإحتواء ومبادئ الأخلاق. ماذا نقصدُ بالمجتمع المُتنوع؟ ولماذا يجب علينا أن نُثمّنهُ، أو نخافُ منهُ بالفعل؟

عندما نُفكر في التنوع في أوروبا اليوم، فإن الصورة التي نراها هي صورة لمجتمعات كانت مُتجانسة في الماضي، ولكنها قد أصبحت الآن مُتعددة بسبب الهجرة. ولكن بأي طريقة كانت المجتمعات الأوروبية مُتجانِسة في الماضي؟ وبأي الطُرُق هي مُتنوعة اليوم؟

وبالتأكيد، لو أنك سألت شخص فرنسي أو شخص إنجليزي أو شخص أسباني في القرن التاسع عشر أو القرن الخامس عشر أو القرن الثاني عشر، فإنهم لن يصِفوا مجتمعاتهم بأنها مُتجانسة. وإذا تم نقلهم عبر الزمن إلى أوروبا المُعاصِرة، فمن المحتمل أنهم يرون أنها أقل تنوعاً بكثير مما نراهُ نحنُ.

إن نظرتنا إلى أوروبا في المضي مُشوهة بفقدان الذاكرة التاريخية؛ ونظرتنا إلى أوروبا في الزمن الراهن مُشوهة من قبل فكرة التنوع المُقيّدة للغاية. وعندما نتحدثُ عن المجتمعات الأوروبية بأنها مُتجانسة تاريخياً، الذي نقصدهُ هو أنها كانت مُتجانسة عَرقياً، أو رُبما ثقافياً. ولكن العالَم مُتنوع بطُرُق عديدة. فالمُجتمعات مُقسَّمة بالاختلافات، ليس الاختلافات العَرقية فقط، ولكن أيضاً الاختلافات الطبقية والجنسية والعقائدية والسياسية وأشياءٌ أُخرى كثيرة.

إن الكثير من مخاوفنا من عواقب التنوع الحديث هي في الواقع أصداء لمخاوف كانت محورية لما نراهُ الآن أوروبا المُتجانِسة. لِننّظر، على سبيل المِثال،

إلى الجدل الدائرُ حول الصدام بين الإسلام والغرب، والخوف من القيم الإسلامية باعتبارها مُتعارضة مع قيم الغرب. ربما يكون من الصعب تخيُّل ذلك الآن، ولكن كان يُنظَر إلى الكاثوليكيين حتى عهد قريب نسبياً من قِبل الكثيرين كما يُنظر للمُسلمين الآن.

يُعتَبر عموماً الفيلسوف الإنجليزي جون لوك John Locke على أنهُ يُقدم الأسُسُ الفلسفية لليبرالية. وكِتابه رِسالة تتعلق بالتسامُح هو نص أساسي في تطوير الأفكار الليبرالية الحديثة حول حُرية التعبير والعِبادة. ولكنهُ رَفَضَ تمديد مثل هذا التسامُح إلى الكاثوليك لأنهم شكلوا تهديداً للهوية والأمن الإنجليزي. وحتى القرن التاسع عشر كان الكاثوليك مُستبعدون بقوة القانون من أغلب الوظائف العامة، وحُرِموا من التصويت؛ ومُنِعوا من دخول الجامعات، ومن العديد من المِهَن، ومنعوا من الخدمة في الجيش. ومُنِعَ أتباع المذهب البروتستانتي من التحوّل إلى المذهب الكاثوليكي، ومُنِعَ الكاثوليك من الزواج من البروتستانت.

وكان مثل هذا العداء الشديد للكاثوليكية موجود حتى القرن العشرين، وليس فقط في أوروبا. ويذكر المؤرخ الأمريكي ليو لوكاسين Leo Lucassen، كان يُنظر إلى الكاثوليكية 'أنها تُمثل ثقافة ونظرة للعالَم مُختلفتان كُلياً، وكان يُخشى منها، بسبب التطلعات العالمية والمُكلفة للعقيدة'. وكتب الشاعر والكاتب رالف والدو أميرسون Ralph Waldo Emerson، 'إنها الصفة السياسية للكنيسة الرومانية، التي تجعلها تتعارض مع مؤسساتُنا وهي غير مُرَحّبٌ بها هُنا.'

واليوم تُعتبر فكرة التقليد اليهودي المسيحي كأساس للحضارة الغربية حِكمة مقبولة. ولكن 'مفهوم التقليد اليهودي المسيحي' هو من اختراع ثلاثينيات القرن الماضي، وقد ظهر من محاولة بِناء جبهة واسعة لمواجهة تهديد مُناهضة السامية. فاختراعها هو عهد لحقيقة أنهُ في عيون الكثير من الناس، شكّل اليهود تهديداً أبدياً للهوية والقيم وطُرُق الوجود الأوروبي، إلى درجة أنهم أصبحوا ضحايا لأعظم إبادة جماعية للبشر في العالم. إن وجود مؤسسة قلعة الحجاج Castrum Peregrini في حدِ ذاتهِ هو شهادة على وجهة النظر القائلة أن اليهود تهديدٌ للحضارة.

مُنذُ إقامة أول حي لليهود Ghetto في مدينة فينيسيا مُنذُ 500 عام مَضَت، إلى تهجمات مارتن لوثر Martin Luther ضد الشعب اليهودي، وإلى قضية دريفوس Dreyfus affair في فرنسا، وإلى أول قانون للهجرة في بريطانيا، قانون الأجانب لعام 1905، الذي صُمِمَ أساساً لوقف تدفق بلاد يهود أوربا الشرقية، أحد الأركان المركزية في الوعي التاريخي الأوروبي هو تصوير اليهود على أنهم العُنصر "الآخر".

لم تكُن أوروبا مُتصدِعة بفعل الصراع الديني والثقافي فحسب، بل بفعل الصراع السياسي أيضاً. من الحرب الأهلية البريطانية إلى الحرب الأهلية الأسبانية، ومن تمرد الفلاحين في ألمانيا إلى كومونة باريس، كانت الدول الأوروبية منقسمة إنقساماً عميقاً. فالخلاف بين الشيوعيين والمُحافظين، وبين الليبراليين والاشتراكيين، وبين الملكيين والليبراليين أصبح السِمة المُميّزة للمجتمعات الأوروبية.

وبالطبع نحنُ لا نرى هذهِ الخِلافات كتعبيرات عن مجتمع مُتنوع. لما لا؟ فقط لأن لدينا وجهة نظر مُقيّدة لما يستتبع التنوع.

ولكن حتى ضمن ذلك المفهوم للتنوع المُقيّد، فإن الصورة التاريخية للمجتمعات الأوروبية لم تُفهم بشكل صحيح. إننا ننظر إلى المجتمعات الأوروبية ونتخيّل أنها كانت مُتجانِسة من الناحية العرقية والإثنية. ولكن هذا ليس هو ما كان الأوروبيون في ذلك الزمن ينظرون إلى مجتمعاتهم. في القرن التاسع عشر وحتى القرن العشرين، نظر الكثيرين إلى الطبقة العامِلة وفُقراء الريف على أنهم مُتميزون من الناحية العرقية.

مقالة قصيرة حول حياة الطبقة العامِلة في منطقة Bethnal Green، منطقة للطبقة العاملة في شرقي مدينة لندن، التي ظهرت في طبعة عام 1864 من مجلة The Saturday Review، وهي مجلة ليبرالية جيدة القِراءة في ذلك الزمن، نموذجاً لمواقف الطبقة الوسطى في العهد الفيكتوري. وأوضح المقال، أن 'فُقراء منطقة Bethnal Green، شكلوا سُلالة نحن لا نعرف عنها شيءً، الذين كانت حياتهم تختلف اختلافاً كبيراً عن حياتنا، أشخاص ليس لدينا أي نقطة اتصال معهم. وخلص المقال إلى أن «التمييز والانفصال، مثل تلك الخاصة بالطبقات الاجتماعية الإنجليزية التي كانت تتحمل دائماً، والتي تستمر من المهد إلى اللَحد « تُقدم موازاة مُنصِفة جداً لفصل العبيد عن البيض».

كانت هناك مواقف مُماثِلة في فرنسا. في كلِمة ألقاها في عام 1857، المسيحي الإشتراكي فيليب بوتشيز Phillipe Buchez تساءل عن كيف يمكن أن يحدث بأنهُ ضمن مجتمع مثل مجتمعنا، قد تُشكل السُلالات – ليس واحدةً فقط، وإنما عِدة سُلالات – بائسة جداً، وأقل شأناً ودونية بحيثُ يمكن تصنيفها على أنها أقل شأناً من السُلالات المُتوحِشة المُنحطة، لأن دونيتها في بعض الأحيان تكون لا يمكن عِلاجها'. إن «السُلالات» التي أزعجت فيليب بوتشيز بمثل هذا الإزعاج ليسوا مهاجرين من أفريقيا أو آسيا وإنما هم فقراء الأرياف في فرنسا.

إن مفهوم أوروبا المُتجانِسة يكون مُتنوعاً بسبب تداعيات الهجرة الحديثة حينما نتخلص من ذاكرتنا التاريخية. فنحنُ نتخيّل مجتمعاتنا فقط بأنها مُتنوعة بشكل خاص لأننا نُعيد كِتابة الماضي ولأن التعريف الغريب لما يُشكّل التنوع يسمح لنا بتجاهل التنوع والمخاوف والصِراعات – التي كانت موجودة آن ذاك. لقد كان لدى المجتمعات الأوروبية دائماً، أو كان يُنظر إليها على أنها "شعوب مُختلفة"، ضمن حدودها.

وهذا يقودنا إلى السؤال الثاني: لماذا يجب أن نُقدّر التنوع، أو نخافهُ حقاً؟ سوف أعود إلى السؤال لاحقاً لماذا قد نرغب في تقدير التنوع. ولكنني أُريد أن أبدا بالسؤال لماذا يخاف الكثيرين من التنوع. فلنأخذ إثنان من المُفكرين الفرنسيين المُعاصرين من الأطراف المُتقابلة من الطيف السياسي، اللذان كلاهما يعتبران الإسلام يمثل تهديداً، ولكن لأسباب مُختلفة جداً: الفيلسوف الليبرالي Bernard–Henry Lévy و المُفكر المُحافظ Pierre Manent.

في عام 2010، أثناء النِقاش حول فيما إذا كان يجب منع البُرقع (غطاء الوجه النسائي) أعلن Bernard Lévy أنه يُؤيد قانوناً واضحاً وصريحاً ينصُ على أن ارتداء البُرقع في الأماكن العامة عملاً مُناهضاً للجمهورية. ولكنهُ يؤكد، أن هذا لا يخص البُرقع. إنهُ يخص فولتير Voltaire. إن الذي على المحك هو تنوير الأمس واليوم، وتُراث الإثنين، ليس أقلُ قداسة من تُراث الأديان التوحيدية الثلاثة.»

حيثُ أنهُ بالنسبة إلى Bernard Lévy، يُمثّل الإسلام خطراً على ليبرالية التنوير، وبالنسبة إلى Pierre Manent فإن تأثير تآكل ليبرالية التنوير هو الذي سمح للإسلام بأن يكون خطراً. فلم يكن هناك خياراً آخر للفرنسيين إلا الإستسلام للإسلام، ويُضيف قائلاً، ولأنهم أصبحوا مُنحطين و»مُتعبين من الحرية». ومن خلال التأكيد على الحقوق بدلاً من الواجبات، حلت ديمقراطياتنا المُجففة الروابط الإجتماعية ولم تترك سوى «غُبار» من الغرور المُنعزل. ويكتب Manent، «إن الحقيقة الأكثر إثارة للدهشة حول اللحظة الراهنة، هي «الضعف السياسي والروحي للأمة.» إذا كان الإسلام يتوسّع ويُعزز تأثيرهُ « في منطقة حيثُ تكون جميع الأشكال الاجتماعية عرضة لنقد التآكل بإسم حقوق الفرد، عندئذٍ نادِراً ما يكون هناك أي مستقبل لأوروبا غير الأسلَمة إفتراضياً».

لقد ردّد الكثير من الليبراليين صدى تحذيرات Bernard Lévy، وردّد الكثير من المُحافظين صدى مخاوف Manent. كلا الرجُلين باعتبار الإسلام خطراً على القيم الأوروبية، ولكنهما لا يتفقان على أي القيم التي تتعرض للخطر. فبالنسبة لليبراليين، تتعارض المذاهب الإسلامية المُحافظة مع قيم التنوير. وبالنسبة للمحافظين، فإن تأثير التآكل لقيم التنوير الليبرالية بالتحديد هي التي سمحت للإسلام أن ينتصر.

وبتعبير آخر، إن الخوف من التنوع محسوس بحد ذاته من مجموعة مُتنوعة من وجهات النظر. والخوف من الآخر مُتجذِر في المقام الأول في القلق على الذات. ويُصبح الآخر مشكلة – وبالفعل يحتاج الآخر إلى أن يُستَحْضر – عندما يكون هناك تخوف إجتماعي حول من نحنُ أو ما الذي نُدافع عنه.

إن الإدعاء بأن الإسلام يُشكل تهديداً أساسياً للقيم الغربية يستند إلى أطروحة "صِدام الحضارات"، التي أشاعها في التسعينيات العالم السياسي الأمريكي صامويل هانتنغتون Samuel Huntington. كتب هانتنغتون في مقالتهُ الشهيرة لعام 1993، عن الحروب الدينية بين البروتستانت والكاثوليك إلى الحرب الباردة، إن الصِراعات التي هزّت أوروبا على مر القرون الماضية كانت كُلها "صِراعات داخل الحضارة الغربية". ومن ناحية أُخرى، ستكون "خُطوط معركة المستقبل" بين الحضارات. وستكون مجموعة الحضارات الأكثر عُمقاً بين الغرب المسيحي والشرق الإسلامي، وهو صِراع «أكثر جوهرية» من أي حرب أطلقتها «الاختلافات بين الإيديولوجيات السياسية والأنظمة السياسية».

ومع ذلك، فالحضارات ليست هي كيانات مُغلقة على ذاتها. إنها «حضارات» تحديداً لأنها مَسامية وسائِلة ومفتوحة لتأثيرات أوسع. لأنها مفتوحة على التنوع.

فِتْنَةُ اللُّغَةِ وَالدُّخُولُ في الدَّائِرَةِ «نِهائِيٌّ»

يَبْني أَمينُ صالِحُ رواياته في حَرَكَة سَرْديَّة عَفْويَّة مُتَحَرِّرَة تَماماً مِنْ أَيِّ تَخْطيط مُسْبَق. فَأَمينُ صالِحُ لا يُحِبُّ القُيُودَ، أَوِ السَّيْرَ ضِمْنَ أُطُر مُعَيَّنَة. إِنَّهُ يَتْرُكُ النَّصَّ يَأْخُذُهُ إِلى حَيْثُ يُريدُ، مُعْتَمِداً الدِّقَّة، وَمُطَرِّزاً عَمَلَهُ الرِّوائِيَّ بِجَمال يَتَسَرَّبُ ضِمْنَ لُغَة فاتِنَة لِعَقْل المُتَلَقِّي، تَسَرُّباً لَذيذاً يَعْبَثُ بِمُخَيِّلَته، وَيَلْعَبُ أَيْضاً عَلَى وَتَر الصَّبْر لَدَى القارِئ، لاسْتِكْشافِ مَفاتيحِ العَمَلِ الرِّوائِيِّ، أَوْ الإِمْساكِ بِخَيْط يُوصِلُكَ إِلى هَذا العالَمِ الفاتِنِ، العَميقِ حَدَّ اكْتِشافِ مَجاهِلَ وَعَوالِمَ ساحِرَة.

فاطمة محسن

مُنْذُ بِدايَة الرِّوايَة وَنَحْنُ مَعَ شَكْل طَليق، طَيْر مَفْتُون بالتَّحْليق بِقُوَّة الوَعْي، وَبأناقَة باذِخَة وَمُدْهِشَة، مَعَ لُغَة تَتَمَيَّزُ بالطَّراوَة، وَتَشِعُّ بالقُوَّة وَالمَتانَة، حَيْثُ يَأْتي الكَلامُ في سِياق جَمالي، يَتَجَلَّى الشِّعْرُ في عُمْق السَّرْد بِفَضْل غَزارَة الفِكْر النَّاضِج. فَاللُّغَةُ –كما يُقالُ– هِيَ عَقْلُ صاحِبِها وَقَلْبُهُ. في هَذِهِ الرِّوايَة يَبْتَعِدُ أَمين صالِح كَعادَته عَنْ تِلْكَ الأَساليبِ المَعْرُوفَة لِكِتابَة الرِّوايَة، إِذْ يَتَمَيَّزُ العَمَلُ الرِّوائِيُّ لأَمين صالِح بِمُقَوِّمات جَماليَّة وَخُصُوصِيَّة فَنِّيَّة في البِناء وَالشَّكْل وَاللُّغَة، حَيْثُ يَتَفَرَّدُ في تَرْكيب العِبارَة. فَلُغَتُهُ حافِلَةٌ، وَغَنِيَّةٌ، وَذاتُ بِناء سَلس إِيقاعِيّاً وَصَوْتِيّاً. فَتِكْرارُ الكَلِمات المُفْرَدَة بِنَبْرَة مُعَيَّنَة ما هُوَ إِلّا إِيقاعٌ (شاعِرِيٌّ) يَصْعَدُ بِنا لِلدَّلالَة الطّاغِيَة لِلْكَلِمَة. فَالشِّعْرِيَّةُ غَيْرُ مُرْتَبِطَة بِالشِّعْر؛ إِنَّها تُلامِسُ كُلَّ الفُنُون، وَتَبْدُو ظَواهِرُها واضِحَةً في كِتابات أَمين صالِح الرِّوائِيَّة:

رِيحٌ وَرِيح/ مَوْجَةٌ مَوْجَة / خَريفاً بَعْدَ خَريف/ حَرْباً بَعْدَ حَرْب / جيلاً بَعْدَ جيل/ فَوْجاً بَعْدَ فَوْج/ مَنْزِلاً مَنْزِلاً/ قَطيعاً قَطيعاً/ دَرَجَةً دَرَجَةً/ فَرْداً فَرْداً/ خِرْقَةً خِرْقَةً/ فَراغ فَراغ/ خَلِيَّةً خَلِيَّة/ بُرْعُماً بُرْعُما/ شَظِيَّةً شَظِيَّة/ قَطْرَةً قَطْرَة/ ضاحِيَةً ضاحِيَة / شِلْواً شِلْوا.

إِنَّ اخْتِلافَ نَمَطِ هَذِهِ الرِّوايَة عَمَّا تَعَوَّدْناهُ لا يُجَرِّدُها مِنْ صِفَة الرِّوايَة، بَلْ إِنَّ تَمَيُّزَها يَكْمُنُ في تَفَوُّقِها في الجَمْع بَيْنَ أُسْلُوب لُغَوِيٍّ مُتَمَيِّز، وَسَرْد مُتَفَرِّد في بِناء فِكْرِيٍّ يُدْرِكُ الكاتِبُ بِدِقَّة أَهَمِّيَّةَ وُجُود عِدَّة عَوامِلَ لإِنْجاحِ العَمَلِ الرِّوائِيِّ؛ كَبِناء الفِكْرَة وَالصُّورَة وَالشُّعُور.

نَحْنُ أَمامَ رِوايَة حَقيقِيَّة كُتِبَتْ بِجُهْد وَدِقَّة فِكْر، رِوايَة تَجيشُ بالإِنْسان وَعَذاباته، أَنانِيَّته، اسْتِغْراقِه المَجْنُونِ في الأَحْلام، عَقْله القَلِق، الدَّمار الَّذي يُخَلِّفُهُ حَوْلَهُ، تَناقُضاته، جُنُونِه الصّارِخ في وَجْه الحُبّ، بُؤْسِه وَطُغْيانِه وَقِلَّة حيلَته، أَمَلِه وَانْكساره، سَجْنِه القَبيح، سَعْيِه الحَثيث إِلى الحُرِّيَّة، خِيانَاتِه وَخَيْبَته.

في المِياهِ وَظِلالِها؛ تَجْسيداً لِمَرْحَلَة كامِلَة، وَإِدْراكاً تامّاً بِمَشاكِلِ هَذا العَصْر، يَضْرِبُ الكاتِبُ عَلَى وَتَر حَسّاس يَعْزِفُ بِرُعُونَة في كُلِّ البِلاد. إِنَّهُ عَمَلٌ مُفَصَّلٌ –بِقِياس ما– عَلَى وَضْعِنا الرّاهِن، يَغُوصُ في عُمْق السُّلُوك الإِنْسانِي، يَتَلَمَّسُ جُذُورَ البِنْيَة الاجْتِماعِيَّة وَالسِّياسِيَّة، قَضايا العَلاقاتِ العائِلِيَّة/ الصَّداقَة/ الحُبِّ وَالطَّبَقِيَّة، ثُمَّ يَتَعَدّى ذَلِكَ إِلى وَصْف حالَة الشَّعْب مِنْ خِلالِ رَصْد وَتَتَبُّع حَرَكَة الفَرْد وَمَصيره، ضِمْنَ رَمْزِيَّة مَفْتُوحَة تَكادُ تَنْطِقُ، لَكِنَّها تَتَوارَى في الوَقْت نَفْسِه.

النُّزُوحُ، تِلْكَ الفِكْرَةُ المُرْعِبَةُ، حينَ تُباغِتُنا المُدُنُ بِالمِحَن وَالرُّعْب، وَيُحاصِرُنا الشَّتاتُ، يَرْتَبِطُ عُنْوانُ الرِّوايَة (المِياهُ وَظِلالُها) بِرَمْزِيَّة عالِيَة، تَخْدِمُ فِكْرَةَ الرِّوايَة، وَتُلْقي بِالضَّوْء عَلَى هَواجِسِ الكاتِبِ وَرُؤْيَتِه الواضِحَة لِلْواقِعِ الاجْتِماعِيِّ وَالسِّياسِيِّ، وَانْشِغالِهِ بِضُغُوطِ هَذا العَصْرِ وَتَوَتُّراتِه، ضِمْنَ ما نَمُرُّ بِهِ مِنْ أَحْداث وَصِراعات تَناوَلَ أَمينُ النُّزُوحَ كَقَدَر وَمَصير لِبَعْض الشُّعُوب، وَرَصَدَ لَحَظات هَذا الحَدَث مُبَيِّناً خَرائِطَ النُّزُوح، وَتَضاريسَ الغُرْبَة، تِلْكَ التي تَنْخُرُ في جَسَد النّازِح أَثْناءَ بَحْثِه المُسْتَميتِ عَنْ شاطِئ أَمان. فَالمِياهُ هِيَ حَرَكَةُ النُّزُوحِ، وَالظِّلالُ هِيَ كُلُّ ما صاحَبَ هَذِهِ المِياهَ. وَلأَنَّ المِياهَ لا ظِلَّ لَها، فَإِنَّنا قَدْ لا نَرَى ما يُخَلِّفُهُ هَذا النُّزُوحُ مِنْ أَبْعاد نَفْسِيَّة وَاجْتِماعِيَّة وَاقْتِصادِيَّة. هَذا التَّوَهانُ يَخْتَصِرُهُ أَمينُ –هُنا– بِكَلِمات دَلالِيَّة تَصِفُ واقِعَ الحالِ:

(ثَمَّةَ كَراكي جائِعَةٌ تَنْقَضُّ مِنَ السَّماء لِتَرْتَطِمَ مَناقيرُها الرَّهيفَةُ بِالمِياه.

ثَمَّةَ نَوارِسُ أَنْهَكَتْها الهِجْراتُ، فَاصْطَفَتِ النُّتُوءاتِ الصَّخْرِيَّةَ لِتَرتاحَ عَلَيْها بُرْهَةً.

ثَمَّةَ رِياحٌ تَهُبُّ مِنَ الشَّرْقِ لِتَضيعَ في المَدَى.

ثَمَّةَ حِيتانٌ صَغيرَةٌ تَبْحَثُ عَنْ شاطِئٍ مَهْجُورٍ تَنْتَحِرُ فيهِ بِلا ضَجيج.

ثَمَّةَ هُبُوبٌ لِصَهيل غامِض يَتْبَعُهُ دَوِيٌّ غامِضٌ يُنْذِرُ بِعَدَد مِنَ البَلايا التي لا هَوِيَّةَ لَها بَعْد)

الحُلْمُ ذَلِكَ الشُّبّاكُ المَفْتُوحُ عَلَى الأَمَل

فَالحُلْمُ في اللُّغَة، وَجَمْعُهُ أَحْلامٌ، هُوَ ما يَراهُ النّائِمُ في نَوْمِه، وَأَضْغاثُ الأَحْلام، وَيُعَرَّفُ حُلْمُ اليَقَظَة في عِلْمِ النَّفْسِ بِأَنَّهُ: (تَأَمُّلٌ خَيالِيٌّ وَاسْتِرْسالٌ في رُؤًى أَثْناءَ اليَقَظَة، بُعَدٌّ وَسيلَةً نَفْسِيَّةً لِتَحْقيقِ الأَماني وَالرَّغَباتِ غَيْرِ المُشْبَعَة وَكَأَنَّها قَدْ تَحَقَّقَت).

تَكَرَّرَتْ مُفْرَدَةُ الحُلْم بِتَصْريفاتِها المُخْتَلِفَة في رِوايَة (المِياهُ وَظِلالُها) بِشَكْل كَبير جاوَزَ المِائَة (حُلْم 82 مَرَّة، يَحْلُمُ 5 مَرّات، أَحْلام 33 مَرَّةً، الحُلْم 13 مَرّة، يَحْلُمُونَ مَرَّةً واحِدَةً، أَحْلُمُ 4 مَرّات، حُلْماً 4 مَرّات). يَأْتي الحُلْمُ الإِبْداعِيُّ عِنْدَ أَمين وَسَطَ كُلِّ هَذِهِ الكَآبَة وَالأَلَم. فَكُلَّما زادَ الأَلَمُ كَثُرَ الحُلْمُ، وَكَأَنَّ أَمين يَهْرُبُ مِنْ مُواجَهَة كُلِّ هَذِهِ الخَيْبات وَانْحِسار الأَمَل وَاليَأْس بِالأَحْلام. فَهُوَ أَمامَ كُلِّ هَذِهِ الرَّغَباتِ المَقْمُوعَة، وَالخُضُوع لإِرادَة السُّلْطَة السِّياسِيَّة وَالمُجْتَمَعِيَّة وَالدِّينِيَّة، وَأَمامَ مَوْجات الأَفْكار وَالمَشاعِر وَالرَّغَبات، يَدْخُلُ مِنْ حُلْم لِحُلْم لِيُشْبِعَ رَغَباتِ أَبْطالِهِ وَيَأْخُذَها مِنَ الحُلْم بِأَشْكالِهِ المُخْتَلِفَة وَرُمُوزِه (مَنام/ يَقَظَة/ رُؤْيا/ تَأَمُّلات/ هَذَيان/ هَواجِس وَغَيْرِها) إِلى فُسْحَة أَمَل تُنْعِشُ أَرْواحَهُم، وَتُبْهِجُ فُؤادَهُمْ. مُنْذُ فِكْرَة النُّزُوح، وَالتي هِيَ الحُلْمُ الأَكْبَرُ في هَذِهِ الرِّوايَة، وَنَحْنُ نَلْتَقي بِمُفْرَدَة الحُلْم في كُلِّ طُرُق هَذا العَمَلِ الإِبْداعِيِّ، بَلْ نَكادُ نَتَعَثَّرُ بِه في كُلِّ خُطْوَة، كَحُلْم ضَلَّ سَبيلَهُ وَهُوَ يُسْرِعُ إِلى مَشارِفِ المُدُنِ البَعيدَة، المُدُنِ الحُلْم (اليُوتوبْيا) الأَمَلِ المَفْقُود، لِيُحْكِمُوا قَبْضَتَهُمْ عَلَى الحُلْم المُشْتَرَك، كَسادَة لِلْمَهَبِّ، لَكِنَّهُمْ لا يَصِلُونَ إِلى هَذا الحُلْم؛ يَفْتَحُونَ بابَ الحُلْمِ عَلَى مَنْظَرٍ أَجْرَدَ وَنَفَقٍ طَويلٍ يَكادُ لا يَنْتَهي.

"أَشْتَهي أَنْ أَحْلُمَ هَذا الحُلْم»

"شَبابيكُ لا تَنْفَتِحُ إِلا في حُضُورِ حُلْم يُبارِكُ لِقاءَ الحَبيبِ وَالحَبيبَةِ بَعيداً عَنْ عَيْنِ رَقيب. خارِجَ إِقْليمِ الحُلْم»

"وَيَجِدُ الأَبْوَّةَ المُسِنَّةَ مُعْتَكِفَةً مَعَ نَوْمٍ رَزينٍ يَهَبُهُ الحُلْمَ تِلْوَ الحُلْم.»

"إِلى العَرّافَة ذَهَبَتْ المَرْأَةُ لِتُفَسِّرَ لَها الحُلْمَ»

"لَكِنْ كَيْفَ يَأْتيهِ الحُلْمُ رائِقاً وَصافِياً وَهَذا السَّريرُ الهَرِمُ، الذي لا رَحْمَةَ فيهِ وَلا حَنانَ، يَطْعَنُهُ بِما يُشْبِهُ الشَّوْكَ النّابِتَ في أَطْرافِه وَفي مُنْتَصَفِه»

"وَالرَّكْضُ وَراءَ كَلْب يُطارِدُ أَشْباحاً لا مَرْئِيِّينَ عَبْرَ أَزِقَّة ضَيِّقَة وَمُتَعَرِّجَة تُفْضي إِلى مَسالِكَ لا نَراها إِلا في الحُلْم» «يُونُسُ واقِفٌ عَلَى سَجّادَة النَّوْم، مُنْتَظِراً بِصَبْر نافِد. ثانِيَةً يَطْرُقُ بابَ الحُلْم طَرَقات مُتَتابِعَةً لَحُوحَةً. بَعْدَ وَقْت، يَنْفَتِحُ البابُ عَلَى مَنْظَرٍ في الحُلْم أَجْرَدَ، عارٍ مِنْ كُلِّ ما يَمْنَحُ حَياةً لِلْمَنْظَرِ السّاكِنِ، حَيْثُ تَنْعَدِمُ الحَرَكَةُ وَيَغيبُ الصَّوْتُ» هُوَ اللَّيْلُ.

بَعْدَ قَليل، يَدانِ تَجْمَعانِ الحَطَبَ.

يَدٌ تُوقِدُ ناراً.

يَدانِ تَحْمِلانِ قِدْرَ الحَساء.

مِيلادُ الحَرَكَة.

في انْتِظارِ يَقَظَةِ الصَّوْت.

الحُلْمُ في أَوَّلِه.

الضَّوْءُ يَنْتَشِرُ تَدْريجِيّاً وَعَلَى اسْتِحْياء.

يُونُسُ يَلِجُ الحُلْمَ، تارِكاً البابَ مَفْتُوحاً خَلْفَهُ. أَصْداءُ جَلَبَة مِنْ بَعيد. خُطُواتُهُ عَلَى العُشْبِ تَمْتَحِنُ مَواطِئَ الغِوايَة، وَلَها وَقْعُ الأَنْداء عَلَى مَساء طَرِيّ. شَيْئاً فَشَيْئاً تَبْدَأُ كائِناتُ الحُلْم في الظُّهُور، وَمَعَها يَبْدَأُ الهَرْجُ،

«حَلُمْتُ البارِحَةَ أَنَّني مُتُّ،

بناءُ المَكانِ السَّرْديّ

اشْتَغَلَ الكاتبُ عَلَى المَكانِ اشْتغالاً كَبيراً. فالمَكانُ عِنْدَهُ مُتَعَدِّدٌ وَواسِعٌ، وَلِكُلِّ مَكانٍ غَرَضٌ وَدَلالَةٌ.

1.السَّفينَةُ: هِيَ المَكانُ الذي تَبْدَأُ بِه الرِّوايَةُ حَرَكَتَها السَّرْديّة. فَمِنْ خِلالِ هَذا المَكانِ المُتَحَرِّكِ الثَّابِتِ نَدْخُلُ الحِكايَةَ مَعَ أمين صالح، عَنْ طَريقِ "الفلاش باك"، ثُمَّ نَعُودُ مَعَهُ في بِنائِه السَّرْديِّ لِلرِّوايَة لِنَفْسِ الدَّائِرَة، بَعْدَ أنْ تَعَرَّضَت السَّفينَةُ لِخُذْلانِ كُلِّ الجِهات، تَعُودُ تارِكَةً نَفْسَها لِمُصادَفاتِ القَدَر.

2.البَحْرُ: سَيِّدُ المَاء، البَحْرُ الهادِئُ، الجَميلُ، الأَزْرَقُ الغَميقُ، العَميقُ، السِّرُّ، القاعُ، الأَمَلُ، الشَّرَكُ الذي يَسْتَدْرِجُنا إلى فَراديسِه حيناً، وَإلى كَمائِنِه حيناً آخَرَ، وَالمَوْجُ ذاكَ الثَّائِرُ المُنْفَلِتُ، المَكانُ الذي أَخَذَنا لِلأَمَلِ وَأَعادَنا لِنَفْسِ المَكان.

3. السِّجْنُ: كَلِمَةٌ مُقابِلَ الحُرِّيَّة وَالفَضاء، لا يَكْتَفي فيها الكاتبُ بِوَصْفِ المَكان، بَلْ يَتَعَدّاهُ لِوَصْفِ مُذْهِلٍ لِهَذا الإِحْساسِ الثَّقيل، حَتَّى تَخالَ أَنَّكَ مَسْجُونٌ، فَتَرْكُضَ مَعَ الكَلِماتِ طَلَباً لِلْحُرِّيَّة.

4. المُنْتَزَهُ: مُصادَرَةُ الحُبِّ

تَتَجَلَّى الدِّقَّةُ في تَصْويرِ المُتَنَزَّهِ كَمَكانٍ لِلْحُلْمِ وَلِلْحُبِّ وَالأَمَل.

إنَّ مُصادَرَةَ الحُبِّ وَنَقاوَةَ الحَياةِ الزَّوْجِيَّة مِنْ قِبَلِ مِيليشْيا الظَّلام، وَذَلِكَ التَّحَوُّلُ الذي طَرَأَ عَلَى الحَياةِ بِمَنْعِ الحُبِّ ضِمْنَ قَوانينَ مَفْرُوضَة تَخْدِمُ الجِهَةَ السُّلْطَوِيَّةَ المُسَيْطِرَةَ، هَذا الصِّراعُ الأَزَلِيُّ بَيْنَ الخَيْرِ وَالشَّرِّ، بَيْنَ الحُبِّ وَالكَراهِيَة، وَهَذا الصِّراعُ الفِكْرِيُّ وَالاجْتِماعِيُّ بَيْنَ المِيليشْيات القامِعَة وَالشَّعْبِ الذي يَتُوقُ لِمُمارَسَةِ الحَياةِ الطَّبيعِيَّة، ضِمْنَ تَحَدٍّ صارِخٍ لِلْغُشَّاقِ الذينَ فاضَ بِهِمُ الوَلَعُ وَغَلَبَتْهُمُ العاطِفَةُ، دُونَ الالْتِفاتِ لِنَوايا وَخُطَطِ وَمَكائِدِ مِيليشْيا العُنْفِ وَالكَراهِيَة، هَذا الصِّراعُ الذي قُدِّرَ عَلَيْنا، وَالذي يَعْجَزُ الخَيِّرُونَ عَنْ مُواجَهَتِه، لأَنَّهُمْ –كما يقولُ أمين:

(لَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّيْلَ هَشٌّ، لا يَقْدِرُ أَنْ يَصُدّ طَعْنَةً مِنْ ضَوْءٍ نَحيل، أَوْ يَمْنَعَ المَصابيحَ مِنْ اخْتِراقِ أَضْلاعِه، وَأَنَّ اللَّيْلَ تَوْأَمُ النَّهارِ، كِلاهُما يَشِفّانِ عَنْ قَدَرٍ ماكِرٍ يَعْرِفُ كَيْفَ يَسْتَغِلُّ هَشاشَةَ المَصائِر، وَيَتَلاعَبُ بِها).

(مِنْ هُنا، وَمِنْ هُنا، بَيْنَ الرَّاوي والكاتِب، يَقُولُ فُولْتير (بأَنَّ الرَّاوي يَجِبُ أَنْ يَكُونَ في عَمَلِه كَاللهِ في الكَوْن؛ حاضِراً غائِباً).

مِنْ عَلَ

مِنْ شاهِقِ المَسافَةِ وَالوَقْت

هَكَذا بَدَأَ أمين صالح روايَتَهُ، وَحَدَّدَ شَكْلَها براو يَنْقُلُ لَنا الصُّورَةَ مِنَ الأَعْلَى؛ فَلا تَسْتَطيعُ أَنْ تُحَدِّدَ شَخْصِيَّةَ الرَّاوي؛ مَنْ هُوَ هَذا الذي يَنْظُرُ مِنْ شاهِقِ المَسافَةِ وَالوَقْت، السَّاكِنُ شُرْفَتَهُ المُعَلَّقَةَ، المُتَأَرْجِحَةَ، هَذا المُراقِبُ الجَيِّدُ لِكُلِّ ما يَحْدُثُ لِلْعالَم، وَالعالِمُ بِخَفايا الأُمُور، المُتَسَيِّدُ كَاللهِ، وَهُوَ يُخْبِرُنا عَنْ عِراكِ المَوْجِ مَعَ المَوْج، هَذا الرَّاوي الذي وَصَفَهُ فُولْتير، وَاخْتارَهُ أمين هُنا كَراوٍ، كَشَخْصٍ مُحايِد، يَنْظُرُ إلى الأُمُورِ دُونَ أَنْ يُشارِكَ فيها؛ يَصِفُها، وَيَنْقُلُها لَنا بِأَمانَةٍ خالِصَة، يُصَوِّرُ الأَحْداثَ وَالأَبْطالَ، وَيَنْقُلُ لَنا خُطُواتِهِمْ دُونَ أَنْ يَتَدَخَّلَ أَوْ يُغَيِّرَ مِنْها، لَكِنَّ الكاتِبَ وَهُوَ في صِراعِه مَعَ هَذا الرَّاوي المُتَعالي، يَشْتَبِكُ مَعَهُ وَيَنْتَقِدُهُ.

"وَأَنْتَ أَيُّها الطّاعِنُ في العُزْلَة، يا المُتَوَحِّدُ، يا كُلِّيّ الوُجُود، ماذا تَرَى وَأَنْتَ جالِسٌ هُناكَ، في حَقْلِكَ الأَثير، بَيْنَ نَعيمٍ تَسْتَوْطِنُهُ الينابيعُ، وَجَحيمٍ تَحْتَدِمُ فيه رِئاتُ الطَّرائد».

يَأْخُذُنا في هُجُومِه عَلَى الرَّاوي، وَفي تَعاطُفِه الشَّديدِ مَعَ أَبْطالِ هَذِه الرِّوايَة، مُتَحَدِّثاً عَنْهُمْ، وَمُدافِعاً عَنْ قَضاياهُمْ، واصِفاً عَذابَهُمُ الأَزَلِيَّ وَهُمْ يُساقُونَ كَالنِّعاجِ إلى هَذا المَسْلَخِ الكَوْنِيِّ لِيُلْقِيَ عَلَى كاهِلِنا –نَحْنُ الذينَ نَقْرَأُ هَذِه المَلْهاةَ– بِهَذا الهَمِّ وَالمَوْتِ وَالدَّمار، وَعَلى قُلوبِنا أَنْ تَسْمَعَ آهاتِ المُعَذَّبينَ وَالجائِعينَ، المُضْطَهَدينَ المَسْحُوقينَ، الفارِّينَ لِلشَّمال.

لِماذا الشَّمالُ؟

(لَكِنَّ هَذِه السَّفينَةَ، المُبْحِرَةَ نَحْوَ الشَّمال، الغاصَّةَ بِالنَّازِحينَ، سَوْفَ يَخْذُلُها الشَّمالُ، وَرُبَّما تَخْذُلُها كُلُّ الجِهات، وَلا تَعُودُ تَعْرِفُ إِنْ كانَ عَلَيْها أَنْ تَعُودَ أَدْراجَها، أَوْ تَهَبَ نَفْسَها لِلْمُصادَفات).

لِماذا كُلَّما طارَدْنا الأَمَلَ نَتَّجِهُ لِلشَّمال؟ يَقُولُ قانُونُ حَرَكَةِ الرِّياحِ بِأَنَّها تَتَأَثَّرُ بِالضَّغْطِ الجَوِّيِّ. فَالرِّياحُ تَتَحَرَّكُ بِحَرَكَةٍ تَسارُعِيَّةٍ مِنْ مَناطِقِ الضَّغْطِ المُرْتَفِعِ إلى مَناطِقِ الضَّغْطِ المُنْخَفِض. هَلْ نَسْتَطيعُ أَنْ نُسْقِطَ هَذِه القاعِدَةَ عَلَى نُزُوحِ سُكّانِ المَدينَةِ نَحْوَ الشَّمال؟

الشَّمالُ في روايَةِ أمين صالح هُوَ الوَطَنُ البَديلُ الذي يُلْهِبُ مُخَيِّلَةَ الباحِثينَ عَنِ السَّعادَةِ وَالحُرِّيَّة، الحالِمينَ بِالطُّمَأْنينَة، المُدَجَّجينَ بِالأَمَل، هُوَ "يوتوبيا" تِلْكَ المَدينَةُ الفاضِلَةُ العامِرَةُ بِالعَدْلِ وَالسَّلام.

شَخْصِيّاتُ الرِّوايَة

تِلْكَ الشَّخْصِيّاتُ المَحْرُومَةُ مِنْ حَقِّها الكامِلِ في الحَياة، الشَّعْبُ الكادِحُ الضّائِعُ في هَذِهِ اللُّعْبَة، مُجْبَرُونَ عَلَى خَوْضِ قَواعِدِها، سَواءً أَحَبُّوا ذَلِكَ أَمْ كَرِهُوا تِلْكَ اللُّعْبَةَ التي يَقُودُها السِّياسِيُّونَ وَالمُتاجِرُونَ بِدِماءِ الشُّعُوب، وَالمُفْسِدُونَ في الأَرْض، تِلْكَ الأَرْضُ التي يَصِفُها أمين بِأَنَّها:

(أَرْضٌ مَهْتُوكَةٌ، مَغْلُولَةٌ، عاثَتْ فيها الانْشِقاقاتُ حَتَّى تَشَوَّهَ وَجْهُها وَأَضْحَى دَميماً. وَمِنْ كُلِّ حَدْبٍ جاءَتْها الطَّعَناتُ، وَلَمْ تَسْلَمْ عاصِمَةٌ مِنْ نَهْبٍ وَتَهْجير. أَرْضٌ تَبْتَهِلُ لِلْقِيامَةِ أَنْ تَحِلَّ قَبْلَ أَنْ تَحِينَ السَّاعَة).

تَبْرُزُ شَخْصِيَّاتُ أمين صالح المَقْهُورَةُ في شَخْصِيَّةِ يُونُس.

يَدُورُ يُونُس في فَلَكِ الضَّياع. فَشَخْصِيَّةُ يُونُس، الباحِثُ عَنِ الحُبِّ، المُدَجَّجُ بِالأَحْلام، يُحاوِلُ العُبُورَ إلى حَواجِزِ هَذِه المَتاهَةِ المُعَقَّدَةِ وَالمَأْساوِيَّة، المَغْمُورَةِ بِالواقِعِ المُرِّ، الحافِلَةِ بِالتَّناقُضات، لَكِنَّهُ يَصْطَدِمُ بِصِراعاتٍ تَكْسِرُ مُقاوَمَتَهُ الدّاخِلِيَّة. حِينَها يَعْتَنِقُ اللا جَدْوَى، وَيَسْتَسْلِمُ أَمامَ طُغْيانِ القُوَّةِ السُّلْطَوِيَّة.

"أَيُّ يَأْسٍ هَذا الذي يَحُثُّ الضَّحِيَّةَ لأَنْ تَذْهَبَ إلى حَتْفِها خانِعَةً، لائِمَةً يَدَ جَلّادِها، اليَدَ ذاتَها التي تُسَنُّ مِدْيَةٌ ضارِيَةٌ عَلَى شَفْرَتِها يَرْبُضُ الأَجَلُ.»

يُفَسِّرُ لَنا أمين هَذا التَّحَوُّلَ في شَخْصِيَّةِ يُونُس، الشَّخْصِيَّةِ المُتَعايِشَةِ مَعَ الخاصِّ والعامِّ في هَذِهِ الرِّوايَة، يُونُس العاشِقُ المَشْغُولُ بِحَبيبَتِه فاطِمَة، وَأُمْنِياتِه الخاصَّةِ بِالرَّغْبَةِ في عَمَلٍ وَبَيْتٍ وَزَوْجَةٍ، وَبَيْنَ يُونُس المُعارِضِ الحالِمِ بِغَدٍ أَفْضَلَ، وَمَدينَةٍ أَجْمَلَ، وَحَياةٍ نَأْمَلُ جَميعاً بِأَنْ نَعيشَها وِفْقَ مَنْظُومَةِ العَدالَةِ وَالسَّلام. هَذِهِ القَفْزَةُ الغَريبَةُ، وَغَيْرُ المَقْبُولَةِ في مَوْقِفِه الذي جاءَ تَحْتَ تَأْثيرِ السَّخَطِ عَلَى كُلِّ ما عايَشَهُ مِنْ عَذابٍ وَقَهْرٍ سُلْطَوِيٍّ، هَذا التَّناقُضُ الذي نَقَلَنا لَهُ الكاتِبُ في شَخْصِيَّةِ يُونُس الذي هَزَّ بِداخِلِنا سُؤالاً مُرّاً، تَبِعَتْهُ أَسْئِلَةٌ لا جَوابَ لَها، يُحيلُنا أمين –في هَذا المَقْطَع– لِتَحْليلِ أَراهُ مُقْنِعاً جِداً، وَرُبَّما خَشِيَ عَلَى يُونُس مِنْ تَذَمُّرِنا أَوْ سَخَطِنا، نَحْنُ المُراقِبينَ لِهَذِه اللُّعْبَة.

"كُلُّ وَحْشٍ في صِغَرِهِ كانَ مَلاكاً. مَعَ مُرُورِ الوَقْت، بَيْنَ الفَيْنَة وَالأُخْرَى، تُناوِشُهُ الشُّرُورُ في حَلَباتِ الصِّراع، فَتَنالُ مِنْهُ مَرَّةً، وَتَتَقَهْقَرُ مَرَّةً، وَكُلَّما خاضَ في التَّجْرِبَةِ وَتَوَغَّلَ في العُمْرِ، قَضَمَتِ الشُّرُورُ شِلْواً مِنْهُ، حَتَّى تَجْتاحَهُ عُضْواً عُضْواً، وَتَكْتَسِحَهُ تَماماً، فَيَتَحَوَّلُ إلى وَحْش. وَها أَنا، عِنْدَما أَتَفَقَّدُ جِسْمِي، أَكْتَشِفُ فَقْدِي لِقِطْعَةٍ مِنْهُ».

سَطْوَةُ الأَسْئِلَة

إنَّ القَصْدَ الفَنِّيَّ الذي اتَّبَعَهُ أمين صالح، مِنْ خِلالِ هَذا الكَمِّ الهائِلِ مِنَ الأَسْئِلَة؛ سُؤالٌ يَتْبَعُهُ سُؤالٌ، عَلَى اخْتِلافِ مَعانيه وَصيَغِه وَدَلالاتِه الفَنِّيّة، كُلُّ هَذِه الأَسْئِلَةِ تَدُلُّ عَلَى قَلَقِ الرَّاوي مِمَّا يَرْوي، اصْطِدامُهُ بِالحَقيقَةِ، رَدَّةُ فِعْلٍ مَجْنُونَةٍ لِهَذا الكَمِّ مِنَ الرُّعْبِ الذي يُصادِفُهُ في طُرُقاتِ الرِّوايَة، تَفيضُ الرِّوايَةُ بِالأَسْئِلَةِ بِقَدْرِ ما تَضيقُ رُوحُ الرَّاوي، وَبِقَدْرِ صَدْمَتِه بِالواقِعِ وَهُوَ يَسْرُدُ لَنا مَوْضُوعاً عَلَى قَدْرٍ كَبيرٍ مِنَ الحَساسِيَّةِ وَالأَلَم، مَوْضُوعاً يُحَتِّمُ عَلَيْكَ، وَأَنْتَ تَتَكَلَّمُ عَنْهُ، أَنْ تُحَصِّنَ نَفْسَكَ جَيِّداً مِنْ صَعَقاتِ الواقِعِ الكَهْرَبائِيَّة، وَمِنْ تِلْكَ النَّفْضَةِ التي تَسْتَشْري في جَسَدِكَ كُلَّ حينٍ، يَدُورُ الرَّاوي في فَلَكِ الأَسْئِلَة، يَلْتَمِسُ العَوْنَ وَالمُساعَدَةَ مِنَ المُتَلَقّي لِيُعينَهُ وَيُخَفِّفَ عَنْهُ سَطْوَةَ القَوْلِ المُرِّ، وَلِتَكُونَ الحَقيقَةُ ماثِلَةً أَمامَ المُتَلَقّي دُونَ كَثيرٍ مِنْ كَلامٍ تَسْتَنْطِقُهُ بِإِجاباتٍ يُصيبُ بِها دَلالَةَ الاسْتِفْهامِ الحَقيقِيِّ، وَيُدْرِكُ أَنَّ الرَّاوي عَجَزَ عَنِ التَّصْريحِ بِها لِثِقَلِها وَعُمْقِ أَثَرِها وَوَطْئَتِها عَلَى النَّفْس، وَلإِدْراكِ الرَّاوي الوَاعي بِأَهَمِّيَّتِكَ كَمَرْوِيٍّ لَهُ في اسْتِيعابِ الوَضْعِ بِكُلِّ تَفاصيلِه.

(وَمَنْ يَعْرِفُ سَبَبَ بُزُوغِ الصَّباحِ كُلَّ صَباح؟ وَلِماذا جُنَّ جارُنا سَلْمانُ فَجْأَةً؟ وَلِماذا تَخاصَمْنا الرَّفاهِيَةَ؟ وَلِماذا أَبْوابُنا مَفْتُوحَةٌ لِكُلِّ غازٍ؟ وَلِماذا لا تَنْشَقُّ الأَرْضُ وَتَبْلَعُ مَنْ يَفُضُّ خَيْراتِها؟ وَلِماذا باتَ الظَّلامُ حَليفَنا، فَلا نَضيعُ فيه، وَصِرْنا نَخْشَى النَّهارَ لأَنَّهُ يَأْخُذُنا مِنْ تيهٍ إلى تيهٍ؟ لِماذا نَحْنُ شَغُوفُونَ بِالحَياةِ إلى هَذا الحَدِّ؟ أَجِبْني).

العَوْدَةُ

(وَكَما غادَرَت السَّفينَةُ مُشَبَّعَةً بِالأَمَل، مَشْحُونَةً بِالشَّجَن، وَكَما سافَرْنا في رِحْلَةٍ مَليئَةٍ بِالأَلَم، تَتَلاطَمُنا فيها أَمْواجٌ لاهِيَةٌ، وَتَلْفِظُنا كُلُّ الجِهات، لِتَعُودَ مِنْ جَديدٍ لِتِلْكَ الدَّائِرَةِ التي لا يَخْرُجُ مِنْها أَحَدٌ، لِتَبْقَى أَسيرَةً لِلْمِياه).

«عَنْ شَعْبٍ دَخَلَ البَحْرَ نازِحاً عَنْ بِلادٍ تَحْتَضِرُ
فَحاصَرَتْهُ الجِهاتُ
وَصارَ أَسيرَ المِياه.»

إيقاع

أعيش بين الإيقاع ليس فقط منذ بداية حياتي التلفزيونية، فقد وجدتني وسط إيقاع النوتة الموسيقية واللوحة التشكيلية وسيرة اللون منذ بواكير عمري، وكأن المسألة مرتبطة ببرنامج قدريّ يخضع كله لسياقات مختلفة من الإيقاع، بدءاً بالحركة الزمنية السريعة لحياتي، إلى حركة اللون والفن بكل أوجهه وهي تصنع فواصل يومياتي.
أعيش وسط هذه السياقات المختلفة، المتجانسة، والمتآلفة، لتكون إيقاعي الخاص بي، ولعلّي بين ما أختاره وما يختارني، لا فرق، فأنا مهيّأة منذ ولادتي لهذا القدر.

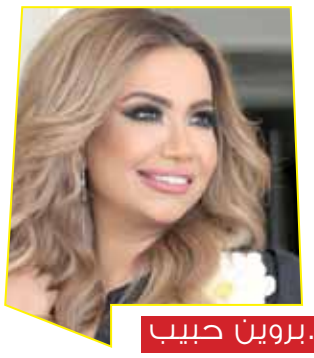

د.بروين حبيب

أمّا عن فكرة الموسيقى التي تشغلني هذه الأيام، فقد جاءت بعد أن طلبت مني سيدة جليلة إدارة حوار حول الموسيقى والإيقاع، لحظتها حضرتني جملة قرأتها للشاعر التونسي محمد الغزي حين قال «الموسيقى سُلّمنا إلى الله»، وهي ذات مرجعية كنسية، حين أُدرجت الموسيقى لتصبح جزءاً من الصلاة لما لها من تأثير على المستمع، وقبل ذلك كانت مرجعية وثنية، صعب مقاومتها لجذب المصلين للكنائس وإخراجهم من المعابد الباطلة، نتحدث هنا عن إيقاع زمني صاخب بالصراعات بين حاملي رسالة المسيح والطهر والعفّة، وبين الغارقين في القرون الوسطى في عالم مدنّس، حيث الموسيقى لها إيقاع صاخب في محافل السكر والعربدة. هذه العبارة التي اختصرها محمد العزي بلغته، وإيمانه، ورؤيته الخاصة، خشيت كثيرا قراءتها بطريقة تسيء للسامع ذي الخلفية المتحجرة، كون عبارة كهذه تقرأ بمحدودية كلماتها ومعانيها المقتضبة في مجتمعنا، فيما الصّحيح أن تُقرأ بمعناها السّابح في ملكوت الله. إذ بقليل من التأمل ندرك أن الكون كله عبارة عن سيمفونية رائعة، وفكرة السّاكن و المتحرّك بالتأكيد لم تأت مع أوزان الخليل بن أحمد الفراهيدي، فأسبقية الخلق أوجدتها بالصيغ الأجمل على الإطلاق.

وجماليات الموسيقى متنوعة بين جماليات الألفة، والغرابة، و ربما لهذا السبب تستعمل للعلاج، فهي أحيانا تُحدث صدمة، حسب الفروق الإيقاعية. ألا يختلف الأمر حين أسمع جنائزيات باخ، وحين أسمع الفصول الأربعة لفيفالدي، أو حين أسمع ياني، أو عمر خيرت أو عمر الشريعي ...؟ أليست جميعها في إختلافها، واختلاف منابعها، تحرّك القلب بوتائر مختلفة؟ ألا تغيّر المزاج؟ ألا ترفع بدواخلنا إلى السماء؟ عبر سلالم لا مرئية، نتسلّقُها ونحن في حالة استرخاء؟

ألا يحدث أن نشعر بالإختناق والرغبة في الإنفجار والتشظي من ضغوطات الحياة، ولا نجد السّكينة إلاّ في الخلاء والإستسلام للصمت، ذلك الذي ليس صمتا تماما، بل هو فواصل من حفيف أوراق الشجر، و تغاريد طيور. حتّى صياح الديكة فجراً، نوع من الموسيقى الذي تستملحه النفس و تتحرّك له مشاعر الألفة في قلوبنا، حتى أصوات المآذن في أوقات خلوتنا ترمم ما أفسده الضجيج اليومي و إيقاع الحياة الصاخب.

ألم يقل نيتشه إن "الحياة بدون موسيقى بكل بساطة خطأ، تعب، منفى" و نيتشه ليس بمقياس، لكنّه قال شيئاً ترجم خباياه الإنسانية التي تشبه خبايانا، وهي نقاط تلاقينا جميعا. عازف التشيللو الكتالوني الإسباني بابلو كسالس قال: «تطرد الموسيقى الشر من القلوب الخاوية من الحب، وتملأها بالسكينة والسلام» وهذا تحديدا ما سعى إليه المرتلون في صلواتهم، والشعراء في قصائدهم، والكتاب في نصوصهم، ففي كل نص يختفي بناء موسيقي ما.

الشعر فيه إيقاع، والنثر فيه إيقاع، و أنا واحدة من الذين يكتبون قصيدة النثر، وقد قرأنا ذلك عند سوزان برنار في بداية تشكل وعينا بقصيدة النثر، أن النثر لا يعتمد على الموسيقى الخارجية لأن القافية تمردت على الأوزان، حيث نجدها حرة، وتقود البياض، أو التكثيف في الصفحات، أو إيقاع البياض كما يحلو لي أن أسميه، فالفراغات لها إيقاع، قصيدة النثر تجاور الحروف الصفيرية، هسهسة السين ..الصاد ، الزّاء ...

يدخل الإيقاع حتى في عملية الإنجاب. نفس الأب والأم ينجبان أطفالا مختلفين، وكل طفل يولد حسب إيقاع تكوّنه، حسب فعل الحب، يدهشنا أحيانا أن لحظة الحب كلما كانت في قمّتها، كلما ضخّت صفات التميز في الجنين، أليس هذا إعجاز حقيقي إكتشفه العلم حتى وإن كان لا يزال يبحث في ميكانيزماته وأسراره؟

الإيقاع أجمل من العروض وهذا يأتي في كتاب محمد مفتاح "العالم و نظرية الإيقاع"، وهذا ما يأخذنا إلى إيقاعات اللغة، و تشكيلاتها الهندسية العجيبة خارج الشعر الموزون وغير الموزون.

حتى الرواية فيها إيقاع، إيقاع تكرار المكان، على سبيل المثال الإيقاع في رواية «موسم الهجرة إلى الشمال» للطيب صالح، يرتبط بحركة مصطفى سعيد من القاهرة إلى لندن إلى السودان، سفر الشخصية إيقاع، التقطيع الزمني في الرواية إيقاع. نتتبع بناء الرواية بالإنتقال الروحي مع شخصيات الرواية، غير مبتعدين تماما عن الفضاء المحدد لنا من طرف الكاتب، وهذا إيقاع آخر يعيشه كل قارئ على حدة، بشكل مختلف مع أن النص المقروء واحد، الشيء الشبيه تماما بعملية تكون الجنين التي تحدثنا عنها سابقا.

رواية أحمد السعداوي «فرانكشتاين في بغداد» لها إيقاع مختلف، من خلال تعاقب لحظات القتل و الصمت، ومن خلال إيقاع الرعب الذي تعيشه المدينة، أمّا في «موت صغير» لمحمد حسن علوان، تتوارد المقولات لتكون نسقاً إيقاعيا للرواية، تقسيم الفصول بمقولات جعل فعل القراءة يرتبط بها، وهذا نموذج رغم تكرره إلا إنه يختلف من كاتب إلى آخر. تفعل غادة السّمان ذلك منذ بواكير منشوراتها، وقد أصابت كتاب جيلها وأجيال أخرى تعاقبت بعدهم بتلك العدوى، حتى أصبحت المقولة المستخلصة من قراءة سابقة، هي بداية إيقاع الأحداث كلها في أغلب النصوص السردية التي قرأناها، وكأنّها الصوت الذي يجرُّ باقي الأصوات المخزنة في المخيلة.

في النصوص الروائية تتنوع الإيقاعات، إيقاع مريم في رواية «مريم الحكايا» لعلوية صبح، يأخذنا في رحلة غريبة تتقاطع بين الوهم والواقع، نكاد نضيع في بداية النص حتى نكتشف تلك اللعبة المبتكرة من طرف الكاتبة لضبط إيقاع أحداثها المتخيلة، هذا يذكرنا بأغاني فيروز التي غنتها في ألبومها " كيفك إنت " – و إن رفض البعض هذه المقارنة – فقد عشنا في البداية الصدمة بسبب الإيقاع المختلف، ثم احتجنا لبعض التأمل في ذلك النّمط الجديد المقترح من طرف ابنها زياد، ثم بلغنا مرحلة تذوق جماليات تلك الأغاني، وكان بلوغ تلك المرحلة نوعاً من القفز لمرحلة وعي تفوق المعتاد، لتشكل ذائقة جديدة أصعب من أن تستوعب بخفة المألوف من أغانيها.

في حياتنا اليومية ألا يقول الواحد منا إن إيقاع حياته يختلف عن إيقاع حياة غيره؟ كيف؟

كتب فيكتور هيغو مئة وثلاثة و ثلاثين كتاباً بين رواية وشعر وقصة قصيرة، ونصوص أخرى متنوعة، ومع هذا عاش حياة مليئة بالحب، والمغامرات، والتسلية، والمتعة، وزيارة الأصدقاء، إذ لم يكن يكتب إلا خمس ساعات في اليوم، هي بين السادسة مساء والعاشرة، وفوق ذلك كان يحب النوم، والإستمتاع بفطور الصباح وكأنه يحتفل، أما بلزاك فقد حُكي عنه أن الكتابة ذبذبت نظام حياته، و جعلته يدمن على الكافيين حتى يبقى مستيقظا بين الواحدة بعد منتصف الليل إلى الثامنة صباحا ليكتب...كانت الكتابة بالنسبة له نوعاً من جلد الذات، وكان إيقاع حياته ضرباً من الجنون في نظر من حوله.

لا ! ليست التحفة الأدبية من انتاج داروين

سوسن حسن

أخبرني صديق ذات يوم عن أول رحلة أخذها على متن الطائرة وهو طفل. كان مع أبيه، و كان متحمساً جداً للطيران، ينتظر لحظة الاقلاع بفارغ الصبر، و لا يعرف كيف ستقلع وسيلة النقل هذه. كان يضحك وهو يخبرني هذا المشهد، وكأنما انطباع ما ذكرّه به. قال له والده وقتها: ارفع رجلك، ارفع، ارفع، ارفع أكثر لكي تقلع الطائرة ! صدق صديقي حديث أبيه ورفع رجله عاليا، كأجنحة الطائرة استعداداً للطيران، وأقلعت الطائرة، وصديقي يضحك ويظن بأنه من حلق بها. فكرت لحظتها، لماذا هذا الصديق حكى تلك الحكاية وعن ماذا كنا نتكلم حينها حتى تستدعيه الذاكرة لرواية ذلك المشهد، ومدى أهمية الذاكرة للسرد.

تذكرت حينها بأن صديقتنا كانت على وجه سفر، وكانت تخبرنا بأنها ستعانق أول شخص يجلس بجانبها من كثرة خوفها من المرتفعات، وإذ به يستشهد بهذا المشهد من حياته لمشاركته معنا، مثلما كان سيفعله أي كاتب على صفحة بيضاء. ما هي العلاقة يا ترى بين المشهد وسارده، بين الكاتب وتحفته الأدبية ؟

هل تتذكرون «البحث عن الزمن الضائع» لمارسيل بروست ؟ أو شجاره مع شارل أوجستان سانت ـ بوف الذي كان يظن بأنه لا فرق بين الكاتب وبين ما يكتبه على غرار أطروحة داروين وتطور الانسان، وبأن الكاتب هو فقط ما يكتبه، وبأن ما يكتبه هو محظ انتاج مجتمعه، وأصله، وتربيته وتعليمه، ومستواه المعيشي.

كان سانت بوف يظن بأننا نستطيع معرفة المرء من خلال محيطه فقط على غرار مثل: «قل لي من يحبك وسأقول لك من أنت». كيف لغيري الذي يحبني أن يحدد شخصيتي؟ لم أعِ مطلقاً ما قاله سانت بوف أو السبب الذي استدعاه للتوصل إلى هذا الاستنتاج، لأنه ذهب بعيداً للتبرير عن طريق الأدب والتكهن بأن حل معضلة الغموض في التحف الأدبية يقع في التحليل النفسي للكاتب ومشاعره وقت الكتابة.

لم أقتنع بهذا الحديث، لأنني ربما أكون غاضبة وفي كامل استطاعتي سرد قصة مضحكة، مثلما فعلت صديقتي وهي تسرد خوفها من المرتفعات بقهقهة وضحك عالٍ ونحن نعي تماماً بأنها ستبكي فور اقلاع الطائرة.

لقد تعارض بروست مع أطروحة سانت بوف، بل و انتقدها في دراسة معمقة لا تحجب المنطق عن أفكاره. قرأ بروست استنتاجات سانت بوف بإمعان وشيئا ما كان يعبق في داخله دفعه لكتابة البحث عن الزمن الضائع وانتقاد سانت بوف. لماذا هنالك زمن ضائع؟ ولماذا نبحث عنه ان كان قد ضاع وانتهى؟ هل هنالك زمن ضائع وزمن غير ضائع؟

يقول بروست بأن لحظة عيش المشاهد الحياتية تعتمد على الأفكار التي تعكسها، لأن المشاهد ما هي إلا أفكار تأخذ شكلاً وتُسرد، وشكلها بالذات هو الذي يجعلها تستمر على مر الأزمان. هنالك أفكار كثيرة نعجز عن عدّها، حيث يقوم الدماغ بانتاج حوالي 70000 فكرة يومياً، وعدد الأفكار يفوق عدد البشر، فقد تسكن في المرء أفكار لا نهاية لها، لا بل ونلاحظ على المرء تعدد الشخصيات التي يملكها في اليوم الواحد، فقد يكون في الصباح حزيناً مدى حزن أغاني هاني شاكر، وسعيداً بعد بضع ساعات كأغاني عبدالحليم السعيدة. يستنتج بروست بأنه من المستحيل تصنيف الكاتب وفقاً لشخصيته لتعدد تلك الأخيرة أساسا ولاستحالة معرفة ما يجول في داخل المرء. «الوجه الذي يعجبنا، هو وجه نحن صنعناه بأعيننا، عينان خاصتان وأنف طويل، يجمع عدة شخصيات في انسان واحد» .

أظن بأن علينا أن نعي حقيقة واضحة وضوح الشمس ... الدين والأدب والفلسفة والعلوم هي أبواب من أبواب الحقيقة والكتاب هو انتاج أنا أخرى غير الظاهرة أو المستعملة في عاداتنا اليومية، في نقصانها، وفي المجتمع.

لنرجع للسؤال الأساسي: ما هي العلاقة بين الكاتب وانتاجه الفكري والأدبي ؟ لقد فضلّ بروست الأدب و الفنون على العلوم المنطقية كالفلسفة، بيد أنه بدأ أطروحته بذاكرة، فقد كان مريضاً، والمرض قاده نحو الحلم، والحلم فتح له أفق العالم والانسان، وباب التخيل والانطباعية ذات العلاقة الوثيقة بالذاكرة.

يؤمن بروست بوجود «أنا» اجتماعية سطحية، مسببة لمضيعة الزمن، تتعامل مع الآخرين، قد تكون صادقة أو مخادعة، قد تكون ذليلة أو قوية، قد تكون مؤدبة أو مشاكسة، و لكنها ليست الأنا الحقيقية، فالأنا الحقيقية هي الأنا العميقة التي يجدها المرء عندما يكتب وهي الزمن المكتسب، هي الأنا التي لا تتضرر مع مرور الوقت، ولا يفسدها شيء، هي الأنا التي نرجع لها عندما نشعر بالضياع ، و هي الأنا التي يستخدمها الكاتب، لا لكي يسرد تأثير الأنا الاجتماعية عليه، بل ليذهب أبعد من ذلك الى أنا تستطيع أن تسرد الحب في زمن الحرب، الى أنا تستطيع أن تحلم وتتذكر، الى أنا تسرد طعم كعكة المادلين وما يرافقها من ذكريات.

نعم هي الذكريات التي قد تربط بين الكاتب وانتاجه الفكري، فسبيل الوصول الى الأنا العميقة المستنجد بها عند الكتابة، يكمن في الذكريات. ذاكرة الطائرة قد تقود صديقي إلى كتابتها في قصة أو رواية، منفصلة تماماً عن ذاتها الاجتماعية، خصوصا في أسلوب الكتابة وشكل السرد. قد أكون كاتبة مملوءة بالحقد في الحياة الاجتماعية وكلي حب في قصصي ورواياتي. قد يكون لدي انتماء سياسي معين، و أجيد خلق شخصية ذات انتماءات أخرى أمجدها في رواياتي، قد يكون من كتبت عنه في آخر مقال لي يكره عرقاً معيناً، ويجيد الحب في كلماته. كل شيء ممكن ! لا علاقة لوسطنا الاجتماعي بكتاباتنا. الأفكار والمعرفة ما هما الا تعبير وانعكاس للشخص الذي يعرف ويسرد . العارف والمعروف وهم، فليس هنالك لا عارف ولا معروف. هذه هي الحقيقة المجردة من الحقيقة وهذه هي المعرفة التي ليست سوى جهل. ما هي المعرفة؟ وما هو الجهل؟ هما ضائعان في شخصية الكاتب. لا نعرف مِن الكاتب سوى شخصيته ككاتب، والباقي هو شخصياته المبعثرة التي نعرفها ولا نعرفها. الكاتب يعبر حدود الزمن ويُخَلد، لا يأبه بجنة أو نار.

اسمعوني جيداً، ليست التحفة الأدبية من انتاج داروين، لا تسهبوا في الحديث عما لا تعرفونه ولا تكثروا التحليل، فغيركم عمل من نفسه أضحوكة باتهام كتّاب بالخيانة، لأن الخيال أسعفهم لكتابة قصة حب جمعت طاغية مجرم وبريئة. ذكرّوا نفسكم بالرب من دون صنع تحفة منه، أطلقوا العنان لأنفسكم واجعلوها ترحل بعيداً دون نسيانها، احترموا القانون دون نية معينه وابتعدوا عن ما هو محرم من دون حكم ولا خوف، كونوا طيبين ولا ترتبطوا بأفعالكم، لا تكونوا حاضرين ولا غائبين، ولا عبيد ولا إله، كونوا ولا تكونوا، لا تنكروا وجود من وجد ولا تقيدوا أنفسكم بوجوده. هذه هي مثالية المثالية، فالله يعرف أكثر حقيقة الأمور، فهو حقيقة الأمور.

الإدراك نصف اللعبة.. والباقي أشكال توضيحية

همس لي زميل من دولة عربية أثناء مشاهدة عرض (xo)في مهرجان شرم الشيخ الدولي للمسرح الشبابي: هل تسمح الرقابة بهذه الأوضاع التعبيرية في البحرين؟؟ أومأت بالإيجاب، وإشارة إلى استكمال الحديث بعد انتهاء المسرحية. كنت مندمجة في العرض إلى حد كبير, مستمتعة بما يُعرض، وأراقب في ذات الوقت العمل الأول للمخرج الشاب الذي فاز بجائزة العرض المسرحي المتكامل في مهرجان خالد بن حمد المسرحي في دورته الأخيرة, لتتلقفه الفرصة في أن يرى عرضَه جمهور نوعي وأسماء مسرحية كبيرة، خبرة ومقاماً، في مهرجان دولي ذي صيت خارج بلده!

يضم العمل شخصيتين، يفصل بينهما حاجز، ولكل منهما ذات الكرسي، والتمهيد للعرض جاء ببطء محسوب، حتى تكشف الإضاءة الشَّبَه المتطابق بين الشخصيتين؛ الزي، والحركة، والرأس الأصلع، وكأنها شخصية واحدة تتأمل نفسها بمرآة، ولهذا دلالته السيمائية التي تكثف لنا الشرح والمعنى عبر العلامات البصرية، لإثارة التساؤل: لمَ هذا الشبه الذي فاجأ الجمهور وفاجأهما كشخصيتين على المسرح في البداية؟ وما إن تدور رحى الحوار، حتى يعرف من خلاله، أنه حديث بدأ ما قبل الحدث المسرحي، واستمر ما بعده، لنعرف أنه حوار بين شريكين يستعدان للفراق، الذكر يديره ناحية الفراق، والأنثى تتشبث بالأعذار، في حوار مراوغ يكشف عما يعتمل في نفس الشخصيتين.

لجأ العرض للغروتسك في تقديم الشخصيات، الذي يوصف في علم الجمال بأنه "لكل ما هو غير منتظم ويتصف بالغرائبية"، عبر فحص تأثير العلامة المرئية في التلقي. فحتى يتم إيصال صورة تحديد الجنس، لبست الشخصيات الذكورية ذات الزي المحايد والمتطابق تماماً، وهو زي مسرحي غير متصل بالواقع، لونه مزيج من أسود وبرتقالي، القطعة العلوية قميص، والأخرى التحتية عبارة عن بنطلون وتنورة قصيرة، مما يوقع المتلقي في التباس المعنى المقصود، ما يفرقهما عن بعضهما بتحديد صغير في ربطة عنق وشعر مستعار يلبس ويُخلع في حوارات محددة، وهو اتجاه ينحو صوب النشاز، لم يهدف المخرج من خلال هذه الغرائبية المباشرة إلى تبسيط فكرة العمل المبنية أساساً على الحوار المتواصل بين بطلي عرضه المتمحور حول الفراق والانفصال وإمكانية الاستمرار، ثم القرار القاطع بأن لا جدوى على الإطلاق. واستخدم العرض سمات الغروتسك في النشاز، وعدم التناسق، والهزلي، والمغالاة (1) في إعمال الفكرة وعقل المتفرج في ذات الوقت، من خلال فعل المبالغة والتضخيم، وأيضا التشويه! فلا يمكن بأي حال أن يقنعنا ممثل أصلع ذو بنية ممتلئة، وصوت خشن، أنه الأنثى، حتى وإن دلت جميع الإشارات لهذا المعنى! وجدير بالذكر أن هذا الأداء العالي من "عقيل الماجد" وزميله "علي بدر" واجتهادهما في التمثيل قد أفضى باقتناص جائزة ممثل دور أول للماجد من بين عروض عربية ودولية وقدرات عالية حفل بها مهرجان شرم الشيخ الدولي للمسرح الشبابي، وهذا تسجيل إنجاز تفوق بحريني نفخر به، دون إغفال أن المشاركة الشبابية بحد ذاتها والمنافسة هو فوز آخر يحسب لهذه المجموعة ولمن دعمها.

وعلى الرغم من إثارة(xo) لأكثر من فكرة تثير الانتباه، كانت أبرزها قصدية المخرج عن ذكورة بطليه التي يجسدها حوار بين أنثى وذكر، والتي عنى فيها أن يفتح مجالاً للتأويل. فلم يأتِ بالعلامات التي تحدد جنس بطليه في كامل العرض، بل في مواضعَ معينة كما أشرنا. وأياً كانت القصدية، فهي موضوعة بتوجيه وعناية متسقة مع فكرة العرض، لكنه استقطب هنا أسلوباً مختلفاً عبر الجرأة في الملامسة غير الخادشة بين الزوجين، والدالة في نفس الوقت، كيف يمكن أن يمتطي شريكان أحدهما الآخر، كما يحصل في ركوب الدابة، كعلامة مرئية دالة على السيطرة والتعنت، دون خدش حياء المتفرج؟ في وقت يلجأ المخرجون إلى حيل متعددة في التعامل مع الأفكار/ الأفعال التي تبدو وقت قراءتها "خارجة"، وتنفيذها

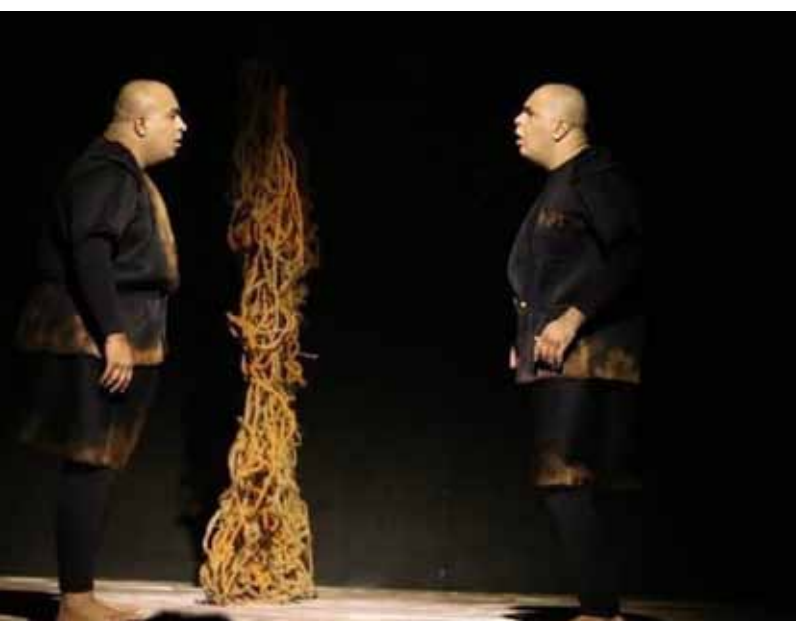

يمر عبر منفذين؛ إما تنفيذها بشكل فج قريب إلى شكل المدرسة الطبيعية، حتى لو كان عبر وسائط رمزية، أو عن طريق ابتكار وسائل تلميح تضع المتلقي في فخ الخيال الأكبر، والذي يمكنه من مشاهدة ما لا يمكن مشاهدته على خشبة المسرح، للاعتبارات الرقابية والأخلاقية قبلها!

إن هذه الفكرة الجريئة غير المبتذلة خدمت الفكرة الأساسية للمسرحية التي تقوم على من يتحكم في سير العلاقة أو يقودها/ يوقفها/ أو ينحني في توقيت ما من أجل الاستمرارية، رغم أنه طرف مهان. وبالاضافة إلى الأزياء المختارة بدقة محسوبة خدمت الشخصيتين، ساهمت الموسيقى الحية في بث روح نشطة للعرض، حيث يجهل الكثيرون مسئولية عبء عرض "الديودراما" المعتمد على شخصيتين تسردان أو تتلاقفان حواراً طويلاً بدون فعل ملموس يكسر حالة الكلام المنطوق المنتظم، كما في عروض المونودراما تماماً، ولا ينقذ هذه العروض من فخاخ الملل إلا الرؤية الواعية التي تمتع المشاهد وتضعه بحالة من التساؤل والبحث الذهني طوال العرض.

وكما فاجأنا العرض بإمكانياته، رغم أنها التجربة الإخراجية

للشاب حمزة العصفور، تشير أدبيات (xo) أن المسرحية من إعداده أيضاً عن نص مسرحية "اللغز" للكاتب الأمريكي "فلويد ديل" (2)، وهو خطأ يرتكبه العديد من المخرجين الشباب والمخضرمين أحياناً، وسبقت الإشارة إليه مرات عديدة، حيث لا يمكن استخدام مفردة إعداد من نص مسرحي لآخر، ويمكن الاستعانة بـ"الإعداد" في حال اقتباس الفكرة أو بعض الحوارات من جنس أدبي آخر، كالرواية أو القصة أو غيرهما، وهذا ما لا يمكن تطبيقه على هذا العرض بأي حال، لأن أي متلقٍّ سيطلع على النص الأصلي لفلويد لن يرى اختلافاً جذرياً بين النص المكتوب ونص العرض، من ناحية تغيير بعض الحوارات، وتقديمها أو تأخيرها. وربما من الضرورة الإشارة إلى أن فلويد ديل كان مقتنعاً ومؤيداً لحقوق المرأة، وتذكر جريدة (مسرحنا) بنفس العدد الذي ظهر فيه النص أنه قام عام 1913م بكتابة مقالات تخص المرأة، واعتبر أن النساء هن بناة العالم، مما يظهر بوضوح موقفه "النسوي"، الذي لم يغفله المخرج في هذا النص، وقدمه بشكل مغاير عن النص الأصلي، ولكن بنفس المعنى والمضمون والفكرة الرئيسية. لذلك فإن ذكر الإعداد لا ينتقص من جهد العصفور الشاب، الذي من الواضح أنه بذل مجهود قراءة وتحضير وربما بعض التوجيه، الذي مكّنه من تقديم رؤية جيدة لنص يبدو في ظاهره مسطحاً، وإمكانية تنفيذه تبدو غير مغرية، خاصة لمخرج في أول تجاربه. وسيبدو هذا واضحاً في العنوان الجديد الذي ابتكره xo، اللعبة التي تقتضي أن يتبارى فيها اثنان لملء مربعات متقاطعة عمودية أو أفقية بأحد الحرفين حتى يفوز أحد اللاعبين؛ الـx أو الـo، مع الإشارة إلى أن أحدهما لم ينادِ الآخر باسم أو برمز، وليس مهماً أن يفعل ذلك، لأن اللعبة ممكن أن تنقلب مرة أخرى، والشخصيات من الممكن أن تأخذ أماكن بعضها، كما حصل في نهاية العرض، بأن تموت الأنثى فيلتقط الذكر شعرها المستعار الدال على شخصيتها ليلبسه على الرأس الحليق ويجمع العلامتين معاً ربطة العنق/ الشعر، في نهاية محيرة وقابلة للتأويل على أكثر من هيئة وشكل، حول تمازج الجنسين/ الاستيلاء على الشخصية/ الجمع بين الذكورة والأنوثة على المستوى البيولوجي والاجتماعي، وغيرها من أفكار تصب في رصيد مخرج ينتظر منه الكثير.

زهراء المنصور

الهوامش:

(1) ميجان الرويلي وسعد البازعي، دليل الناقد الأدبي، المركز الثقافي العربي، بيروت، ص 203

(2) جريدة مسرحنا، نصوص مسرحية، مسرحية اللغز/فلويد ديل/ 18 أكتوبر 2012م/ العدد 258

مهرجان البحرين المسرحي الأول .. بارقة أمل نحو ديمومة مسرحية

حسين العريبي

أسدل الستار في (15 أبريل 2019) على أعمال الدورة الأولى من مهرجان البحرين المسرحي (دورة الفنان الراحل إبراهيم بحر) بعد أن شهد في الفترة من 9 ولغاية 15 أبريل 2019 عرض 6 عروض مسرحية للفرق الأهلية المحلية، وإقامة منتدى (بانوراما مئوية المسرح البحريني) إلى جانب تنظيم ورشة عمل حول علاقة المخرج بالسينوغرافيا.

وحازت مسرحية « نعال النوخذة» لمسرح أوال على جائزة أفضل عرض مسرحي، فيما ذهبت جائزة أفضل ممثل دور ثاني، عن العرض ذاته لأمين الصايغ.

وحصد المخرج محمد شاهين جائزة أفضل إخراج عن عرض «حيدر» فيما فازت جمانة القصاب بجائزة أفضل ممثلة، وحامد سيف جائزة أفضل تأليف موسيقي ومؤثرات صوتية، والروائي البحريني أمين صالح جائزة أفضل نص عن العرض ذاته.

وذهبت جائزة أفضل ممثل دور أول، لعلي مرهون عن عرض «مطر صيف»، وجائزتي أفضل ممثلة دور أول لنورة عيد، وأفضل سينوغرافيا لأحمد العميري عن العرض ذاته.

إلى ذلك شهد حفل ختام المهرجان عرض فيلم لبانوراما العروض المشاركة في المهرجان، قبل أن تقدم الفرق المسرحية الأهلية عرضاً مشتركاً بعنوان «السلطة الخامسة» جاء نتاجاً لورشة علاقة المخرج بالسينوغرافيا، التي أشرف على تنفيذها السينوغرافي الكويتي فيصل العبيد، والمخرج الكويتي عبدالله التركماني.

وقدّمت لجنة التحكيم المكونة من الاستاذ عبد الغني داود من مصر رئيسا، وعضوية الدكتورة نيرمين الحوطي من الكويت، والدكتور محمد سيف من العراق، بياناً تفصيلياً شرحت خلاله آلية عملها وملاحظاتها وتوصياتها.

وذكر البيان أن عروض المهرجان كانت تتأرجح بين الهواية والاحتراف، وهذا ما لمسته اللجنة من خلال اختيار الفرق المسرحية لبعض النصوص التي كانت عصية على الفهم نتيجة لطرقها أبواب مسرح اللامعقول بكيفية توليفيه أوغلت في الغموض، والمتاهة، أو الاعتماد على الميلودراما كعنصر اساسي لفن الفرجة، مما جعل لغة العواطف الجياشة تهيمن على العروض، واسقطت التمثيل في بكائية غير مجدية، "علما أن المسرح امتداد للحياة وليست كل ما فيها بكاء وأنين".

وأضاف البيان: "في حين ان بعض العروض جمعت ما بين مفارقات درامية عدة سلطت الضوء من خلالها على دلالات واعية فضحت العالم الزائف (المستنسخ) و العالم الحقيقي، وكذلك ناقشت عوالم الانسان الداخلية واشكالية الوجود من خلال مناخ نفسي مضطرب. وكما اهتم العرض الأخير بالموروث الشعبي ومفارقاته التي تمتد جذورها الى أعماق مجتمعاتنا العربية."

وأوصت لجنة التحكيم بأهمية الاهتمام بعقد دورات تدريبية وحلقات عمل ليست فقط للتمثيل والسينوغرافيا وانما ايضاً للأزياء والاضاءة والمكياج، وهي عناصر مهمة لصنع أي عرض مسرحي.

وأضاف البيان، موصياً إدارة المهرجان بتخصيص لجنة اختيار للعروض في الدورات القادمة لاختيار الأفضل منها واستبعاد ما هو دون المستوى.

يشار إلى أن مهرجان البحرين المسرحي جاء ضمن سلسلة من مهرجانات نظمت ومزمع إقامتها في الدول العربية التي لا مهرجانات مسرحية محلية فيها، كمبادرة نوعية من الشيخ الدكتور سلطان بن محمد القاسمي، تعزيزاً للإبداع المسرحي العربي. وقد نظم المهرجان من قبل الهيئة العربية للمسرح، وهيئة البحرين للثقافة والآثار، بالتعاون مع اتحاد جمعيات المسرحيين البحرينيين.

تزامناً مع المهرجان
٦ دراسات علمية تؤرخ للمسرح البحريني في مائة عام

شهدت الجلسة الأولى من المنتدى الفكري «بانوراما المسرح البحريني في مائة عام»، المنعقدة بمركز الفنون، سرداً مفصلاً للأبعاد التاريخية للمسرح البحريني، ودور كل من المسرح المدرسي والأندية في تشكيل ملامح الحركة المسرحية البحرينية. وجاء ذلك خلال نقاش معمق أدارته الناقدة منصورة الجمري بمشاركة الفنان عبدالله يوسف الذي قدّم ورقة عمل بعنوان» البعد التاريخي للمسرح البحريني في المئة عام الماضية»، والكاتب حبيب حيدر الذي

عنوّن ورقته بـ» ظاهرة المسرح التربوي البحريني منذ بداية التعليم 1919م»، والدكتور محمد السلمان الذي جاءت ورقته بعنوان» مسرح الأندية بوابة تأسيس الفرق الأهلية المسرحية لاحقاً».

وتناول الفنان عبدالله يوسف في ورقته البعد التاريخي للمسرح البحريني في المئة عام الماضية. واستعرض يوسف في سياق حديثه منجزات الفنان الراحل يوسف قاسم باعتباره أبرز الرواد الذين دعموا المسرح البحريني بتأسيس فن الديكور وتوظيفه في العروض المسرحية البحرينية المبكرة، ويعد قاسم أحد رموز الحركة التشكيلية البحرينية والمؤسس والرائد لفن تصميم وتنفيذ المناظر والديكورات المسرحية وما يتصل بها في البحرين ودول الخليج العربي.

من جهته أشار الكاتب حبيب حيدر إلى أن المسرح المدرسي استهل نشاطه في البحرين بعد ست أعوام من تأسيس مدرسة الهداية الخليفية في المحرق بعام 1919م. وتطرق إلى الأعمال المسرحية التي قدمت في المدارس الحكومية منها مسرحيات» القاضي بأمر الله» 1925م، «وفود العرب على كسرى» 1927م، « امرؤ القيس»، « أبو القاسم الطنبوي» 1928م، «ثعلبة»، و»داحس والغبراء» 1932. وذكر أيضا المسرحيات التي قدمتها المدارس الأهلية أبرزها «وامعتصماه» 1931م، «وليم تل»، «بين الدولتين»، «سيف الدولة بن حمدان» 1931م، «المعتصم بأمر الله» 1941م، «الميت الحي» و»شهامة العرب».

بدوره توقف الدكتور محمد حميد السلمان، في ورقته على أهم الأندية التي شهدت نشاطاً مسرحياً، متطرقا إلى دور العروض المسرحية المقامة في الأندية في تفريخ كوادر الفرق الأهلية المسرحية بمختلف مجالاتها الفنية. وأهم تلك الأندية التي أشار السلمان لتأثيرها الكبير على بروز الفرق الأهلية المسرحية، هي «الأهلي»، «العروبة»، «اللؤلؤ»، «المعامير»، «مدينة عيسى»، «بوري»، «توبلي»، «كرزكان»، و»الحالة».

وكانت الجلسة الثانية من منتدى بانوراما مئوية المسرح البحريني قد انعقدت بمركز الفنون بإدارة الدكتور محمد حميد السلمان، طارحة أوراق عمل معنونه بـ» آفاق الأطر الفكرية في مسيرة المسرح البحريني» للدكتور راشد نجم، و «توظيف الموروث الشعبي في المسرح البحريني» للأستاذ عباس القصاب، و» تأملات جديدة في مئوية الأوراق القديمة للمسرح البحريني « للأستاذة الناقدة زهراء المنصور.

وتحدث الدكتور راشد نجم عن بدايات تشكّل المسرح البحريني من خلال المدارس على يد أساتذة عرب رسخوا ثقافة المسرح، متطرقاً إلى مدى تقبل المجتمع البحريني للمسرح والإقبال الذي تمخض عن ممارسته في المدارس، والذي شجع فناني المسرح على التمثيل في مسارح الأندية الأهلية وتقديم عروضهم خارج إطارها. وتناول نجم الملامح الفكرية لكل مرحلة من مراحل مسيرة المسرح البحريني.

وتناولت الأستاذة الناقدة زهراء المنصور الظواهر المسرحية الشعبية في البحرين، مشيرة إلى إلى كونها طقوس بحاجة للبحث الأنثروبولوجي وليست فن مسرحي. وتحدثت عن دور المدارس والأندية الكبير في نشأة المسرح البحريني، وتأطير النشاط المسرحي ضمن مسارح أهلية مثل «الاتحاد الشعبي»، «أوال»، «الصواري»، «جلجامش»، «البيادر»، و»الريف». وتطرقت لمدى إقبال الجمهور البحريني على المسرح خلال فترات زمنية مختلفة، علاقة التجريب في المسرح البحريني بالفراق الجماهيري، والنقد المسرحي البحريني.

أما الأستاذ عباس القصاب فناقش بدايات توظيف الموروث الشعبي في المسرح البحريني في الوقفات أو الاسكتشات التمثيلية القصيرة في العروض المسرحية، وهي تعتمد على طرح قضية اجتماعية باللغة العامية المتداولة، واللباس الشعبي البحريني المعروف. متناولاً أسباب توظيف التراث الشعبي مسرحياً وأهمها إبراز الهوية البحرينية العربية الفنية والحضارية. وتطرق القصاب إلى بعض الأساليب الإخراجية المستخدمة في العروض المسرحية التراثية كالواقعية ربط الماضي بالحاضر واستشراف المستقبل، والتمثيل الصامت.

لا أريد لقصيدتي أن تنكسر..

بتول حميد

لديّ ما يكفي من الوحدة
لأكتب هذا النص
لديّ ما يكفي من الهوس
لأخترع حفلةً تنكرية
أدعو إليها كل رفاقي العابرين
وأحضرها بمفردي!
لا شيء يدل أني أنكسر
أنا أطفو فوق دموعي..
أستطيع الاستماع بمهارة
لأوبرا كلاسيكية مملة
في الوقت الذي يصرخُ فيه غولُ الألم!

***

أكتبُ غالباً بطريقةٍ مؤلمة
أبتلعُ دمعي
وأرشُ الليلَ على الكلمات..

***

منذ شهر وأنا خارج النص
تنكمش ورقتي ببياضها وتكتفي بالصمت
أعرج في بداية السطر الأول
أستبدل الانتظار بالسكون..
والصرخة بالنقطة
لا أريد للفكرة أن تنهمر مرة واحدة
أريدها أن تنثر دمعي أولاً
تدلق نبضي على مهل
تسكب صوتي المتحشرج
على مدرج طويل
توّزع ابتسًاماتي الساخرة
على المساحات الشاغرة..
لا أريد لقصيدتي أن تنكسر!

***

في حياةٍ أخرى
لن أبدوَ لكَ جملةً ضعيفة
تحشو مجازَها ببلادة
ستقرؤني كقصيدةٍ خالدةٍ على حوافِ الهمس
تمدُ يدَها إلى قلبكَ
تَطعنُك برقةٍ غائرةٍ في روحِكَ
تُغرقُكَ في دمِ دهشتِك
تجعلُكَ ترى َالموْتَ حَنوناً
وتقولُ بكلِ ما فيكَ: الله!

سفكنس الخفي

صخرة أعاقت الطريق. ينزل "ساعد"، بمرافقة السائق، ويشمران عن ردني جلبابيهما ويحاولان زحزحتها. يتوقفان حتى ينتظم لهاثهما ثم يعاودان دفع الصخرة. وحين لم يتمكنا من فعل شيء يذكر، يتلفتان منتظرين من سيدفعه القدر لمساعتدهما.
لا أحد.. فيعاودان دفع الصخرة، وكانا في كل حركة يقومان بها، يقابلهما المحيط بخيوط سخية من العرق؛ حيث عانقتهما الشمس في ذلك الصباح بحرارة فائضة. خيوط كثيرة جرّاها معهما، قبل أن يغوصا إلى قلب السيارة ويتهويا بالمكيف.

قصة:
محمود الرحبي

ابتدر ساعد حديثا ليبدد به ثقل الانتظار:
–مساء أمس سقطت من نافذة صالة شقتنا كرة كان يلعب بها ولدي الأكبر. ولأننا نسكن في الطابق الرابع فقد انتظرنا مرور أي شخص يمكنه أن يقذف بها إلينا. كان الأول رجلا مسنا، فقذف بها ولكنها لم تصل إلا إلى الطابق الثاني. جاء بعده شاب يافع متحمس فقذفها ولكنها طارت إلى الطابق الخامس ودخلت من النافذة وكسرت شيئا. هرب الشاب راكضا حين سمع صوت الانكسار. لم نعرف ماذا نفعل. لكني أمرت ابني بترك الكرة وشأنها. فلا علم لأحد بحجم الخسائر التي أحدثتها في الأعلى. ومن باب الفضول، تلصصت من النافذة وأدرت رقبتي للأعلى فوجدت رجلا سمينا يرفع الكرة بين يديه وهو يحرّك عنقه يمنة ويسرة، باحثا عن أثر للفاعل في الأرض. ولأنه لم يتوقع أن تكون لي علاقة بالأمر فقد رمقني بنظرة عابرة..
في تلك الأثناء تمر شاحنة تحمل عمالا فينقطع حديث "ساعد".
ودون أن يطلب منهم أحد، يهبط العمال من الشاحنة تلقائيا ويزحزحون الصخرة ثم يعتلون عربتهم ويتقدمون. فيتسع الطريق للشاحنة، ثم لسيارة شركة الكهرباء.
ومثل الوحش "سفنكس"، الذي صرعه أوديب قبل أن يتقدم إلى طيبة، كان على "ساعد" كل يوم أن يصارع الحر الشديد، خاصة حين تكون الشمس عمودية في منتصف الظهيرة وبلا ظلال تُذكر.
كان يعمل في العراء المشمس، مفتشا في شركة للكهرباء تتوزع أعمالها على البيوت الحديثة. ولأنها شركة تساهم فيها الدولة، فقد رُفض طلبه المتكرر أن يرتدي ملابس العمل التي يرتديها العمال الأجانب. لذلك عليه أن يتزيى بنفس الملابس الوطنية، بقشبيها وألوانها ولفعاتها الموزعة بالتساوي من قمة الرأس إلى أخمص القدمين؛ وكأنه في مكتب حكومي بكامل رفاهيته ووسائل راحته وتكييفه. لذلك يكون أول ما يفعله حين يصل إلى البيت، وقد طوقته خيوط العرق كموجة خانقة، هو الدخول إلى الحمام والتخلص من جميع الأطواق التي أثقلها العرق، والملتصقة بجسده. وتكون زوجته قد أعدّت له ما سيرتديه في بقية يومه.
يعمل "ساعد" في شركة توصيل الكهرباء إلى المناطق الجديدة، ولأنها دائما ما تكون وعرة وبعيدة ويتخللها مشي وحفر وغير مكتملة البناء، فإنه يترك سائق الشركة في سيارته ويخرج راجلا، باحثا عن النقطة المحددة ليرقمها ويتأكد من وجود موصلات إليها.
ورغم قصر المسافة عمليا بين سيارة الشركة والبيت المنشود، فإنها كفيلة بإدخاله في صراع مرير مع وحش الحرارة الخفي، إذ سترمي الشمس العارية بكل حمم عناقها وبلا هوادة على جسده الضعيف. عليه أن يتأكد من وجود الأسلاك والكابلات في البيت الجديد، ثم الاتصال بعمال الشركة ليأتوا ويثبتوا العداد.
يمتد عمله من البيت إلى العراء المشمس، باستثناء بداية الأسبوع، إذ عليه أن يكون في مقر الشركة ليطلعهم على كيفية سير الأمور. أما في بقية الأيام فيعتمد على الاتصال بين أرقام الشركة وأرقام هواتف أصحاب المنازل التي تطلب توصيل الكهرباء. فقد زودته الشركة بهاتف خاص وخط مفتوح إلى حدود الثانية والنصف ظهرا، وبعد ذلك لا يسمح له باستخدامه.
يكون الصراع الأقوى الذي يواجهه "ساعد" مع الوحش في بداية فصل الحر، وتحديدا في نهاية أبريل وبداية ماي، ثم الأيام اللاهبة والمستحيلة ليوليو وأغسطس وسبتمبر، حين تكون الشمس عمودية لا يحدها ظل وساخنة كمرجل يغلي منذ شهور ويصب حممه على الوجود. وتكون الشمس سخية في تحفيز الأجساد على التعرق بلا حدود. وفي كثير من الأحيان، حين يكون المنزل المقصود بعيدا، عليه أولا أن يطلب ماء وهو يلهث. ولكنْ حتى الماء لن يجده بسهولة، إذ يكون صاحب البيت لم ينتقل إليه بعد، فيطلب منه أن يلجأ إلى الجيران طلبا للماء. ولن يجد طلبه استجابة من صاحب البيت، فهو لا يعرف جيرانه الجدد بعد، وليست لديه أدنى رغبة في معرفة أحد.
–لو تتكرم لي بكأس ماء بارد.
–كأس ماء بارد! من أين يأتي الماء البارد ولم تدخل الكهرباء بعد! يا أخي تتأخر ثم تسخر مني.
–أعتذر لك. لا أسخر منك. أخطأ السائق في الوصول إلى البيت. الوصف كان صعبا والطريق وعرة.
–لا بأس، ولكن لا يوجد عندي ماء، ولا يوجد منزل أعرفه. ولا أرغب حاليا في ربط أي علاقة بأي جار، كما أني بنيتُ هذا البيت لأبيعه في أول فرصة.
وحين اقترح عليه أحدهم أن يطلب من الشركة علاوة (بدل عطش) أخذ الأمر بجدية تستحق السعي، فالعطش يصاحب وظيفته كما يصاحب الملح ماء البحر. ولكن طلبه قوبل بسخرية من مدراء الشركة، فأنى لآلهة الأولمب، القابعين في مكاتبهم والمكيفة والوثيرة، أن يستسيغوا معنى العطش؟!
ولكنه في المساء، وبعد أن يأخذ قيلولته، يجر سيارته الخاصة بين الطرقات، وهذه المرة بملابس خفيفة، إذ سيرتدي سروالا وفانيلة قطنية. وكما يفعل في صباح العمل، يدور باحثا عن البيوت، لكي يزودها بالماء وليس بالكهرباء. كان ثلثا سيارة ساعد الخلفيان خزانَ ماء، وتكون ثقيلة حين يكون ممتلئا. في الكراسي الأمامية يحمل زوجته، الحامل دائما، وأبناءه الثلاثة. وإن زاد رابع، فإن حضن الأم سيكون كرسيا وثيرا له، ثم أحضان الإخوة.

قاسم حسين يحكي رحلته مع الخط العربي

في كتابه الشائق: «رحلة مع الخط العربي – روافد وذكريات"، ينطلق الكاتب البحريني قاسم حسين من تجربته الخاصة في العلاقة مع الخط العربي، سارداً محطات هذه التجربة، ليطوف بنا في رحلة ماتعة، على إيجازها، عن الخط العربي، ويتوقف أخيراً أمام الحروفية كتجربة فنية في البحرين، مستعرضاً أبرز وجوه هذه التجربة.

آنس قاسم وهو طفل في نفسه ميلاً للتجويد في الخط، وهذا ما لاحظه أيضاً معلموه، بمن فيهم المرأة التي حفظّته القرآن الكريم، بنت الملا، كما أطلق عليها الكاتب في الكتاب، التي توسمت في خطه نوعاً من الوضوح، فكانت تأتيه بنسخ قديمة من كتب الرثاء الحسيني باللغة العامية لينسخها لها في دفاتر جديدة.

ولكن معلمه للغة العربية في مدرسة الخميس الابتدائية والإعدادية أحمد الزنجي، الذي شاءت الأقدار أن يكون هو نفسه خطاطًا كان له أكبر الأثر في تشجيع موهبة التلميذ قاسم يومها، حيث كان التلميذ مبهوراً بالطريقة التي يخط بها أستاذه الحروف بالطباشير على السبورة الخشبية السوداء بخط الرقعة.

مثل الكثيرين من اصحاب المواهب من أبناء البحرين الذين قادتهم الأقدار إلى المعتقل، ولسنوات طويلة ممتدة، بسبب مواقفهم السياسية وجد قاسم حسين في محطة الإعتقال فرصة لتطوير موهبته في الخط وصقلها، وبسبب عدم توفر المستلزمات الضرورية للكتابة والخط كالأقلام والأوراق في الزنزانة، حيث العزلة التامة عن العالم الخارجي تعيّن ابتكار الوسائل للتغلب على ذلك، وشجّعه أن من بين زملائه في المعتقل شابان، هما أبناء خالة، من قرية دمستان: يوسف ومحمد لديهما الميل نفسه نحو الخط.

تمت الإستعانة بقطعة من النعال المطاطي يقتطعها الثلاثة على هيئة رأس قلم عريض ويغمسونها بالماء في علبة بلاستيكية صغيرة؛ ثم يمررونها على باب الزنزانة الحديدي الأسود لتظهر الحروف للحظات بفعل انعكاس الضوء، وحين يجفّ الماء وتختفي يصبح بالوسع كتابة حروف أخرى وهكذا، فلم تكن هناك مدعاة لمحاة فالهواء الحار أغلب فصول السنة كفيل بمحو الحروف سريعاً.

لكن لحكاية التغلب على انعدام الأوراق والأقلام جوانب أخرى يرويها الكاتب بالتفصيل لاحقاً، حيث أصبح بإمكانه خط بعض اللوحات، نجح في تهريبها من المعتقل إثناء زيارات أفراد عائلته له، ولما أطلق سراحه بعد سنوات وجد أن تلك الأوراق الصفراء الباهتة من أعزّ ما يملك.

تجربة قاسم حسين تُذكرنا بتجربة مشابهة للخطاط أحمد سرحان الذي اعتقل في قضية سياسية أيضًا في عام 1976 وحكم بالسجن لفترة طويلة جدا، وكانت تجربة السجن بالنسبة إليه، هو الآخر، ورشة لتطوير مهاراته في الخط العربي، وواصل مسيرته هذه بعد إطلاق سراحه، فنشر كتبه عن الخط التي وضع مخطوطاتها وهو سجين، وبينها كتابه «رموز الخط العربي في البحرين» الصادر عام 2001، وعنه ينقل قاسم أسماء بعض هذه الرموز التي تتوزع على مختلف مناطق البحرين وبينهم خليل زباري، محمد البحارنة، عبدالإله عرب، أحمد المناعي، حسن أميري، محمد جناحي، حسن المتوج، محمود الملا، عبد الشهيد خمدن، عباس يوسف، ابراهيم بوسعد، عبد العزيز الحلال، سلمان أكبر وعبدالعزيز الثور وغيرهم آخرون بالطبع، والكثير من هؤلاء يجمعون إلى جانب موهبة الخط مواهب أخرى كالرسم والنحت والموسيقى والكتابة.

كأنكم أمام أنفسكم

كريم رضي

كتب عيد الله آل سيف كتبا مهمة وغاص في تاريخ المجتمع ومكوناته الإثنية، وعمل بصمت ودأب وكفاح دون أن يتبنى أحد دعمه، ولم يجن من وراء ما كتبه ثروة مادية ولا رمزية ولم يكن من الاطلاع على المصطلحات الحديثة بالقدر الذي يسمح له أن يسمي شغله انتربولوجيًا أو نقدا ثقافيا أو سيرة المكان أو ما يشبه ذلك من التعريفات الحديثة.

ولم يكن زوّاراً بكثافة لوسائل التواصل الاجتماعي، ولا مولعاً بفكرة التدشين Book Launch لكنه كان مقاتلاً حقيقياً بالمعنى الحقيقي للقتال بالقلم وورّاقا بالمعنى العريق الأصيل للورّاقين، حتى مضى كما عاش بصمت أو لنقل بضجيج خفيف كساعة قديمة تتك في غرفة الأب، وحتى إنك ستتعب لتعثر له على صورة في محرك البحث ذات High Resolution وربما أخطر ما حدث أننا لم نقرأ حتى الآن وربما لن نقرأ أبدا حكاية عبد الله آل سيف نفسه فلم يهتم أحد بأن يجلس مع هذا الحفّار الصبور ليسأله عن قصته وقصة الرفش الذي يحمله منقبا في أحجار الزمن وناسه.

كان عبد الله آل سيف يكتب كمن هو عفوي وتلقائي، لكنه أبداً لم يكن كذلك؛ بل كان يجتهد بأقصى طاقته ليكون صحيحاً ودقيقاً وأصيلاً. ويبقى حال عبد الله آل سيف أخيراً كحال كل هؤلاء الشجعان البحرينيين الذين نذروا أنفسهم لتحرير السيرة سواء كانت سيرة البشر أم الأثر، بينما ننسى ولعلهم هم ينسون أيضاً في غمرة هذا العمل المضني أن يقولوا لنا سيرتهم التي تتبدد في سيرة الآخرين وكأنهم كما يقول أبو الطيب – ولا بد من أبي الطيب دائما لأن له مِقال في كل حال – (أُقسم جسمي في جسوم كثيرة).

وفي المرة التالية حين تلتقون أحداً من هؤلاء انحنوا له وقبّلوا جبينه؛ فأنتم على الأرجح أمام شخص يحمل في ذاته الكثير منكم ومن أسلافكم، فكأنكم أمام أنفسكم ليس إلا، فلا تنسوا أن تشكروا من نسي أن يشكر نفسه.

واحة الفكر

رأي اشتراكي أوروبي في عرب القرن التاسع عشر

إعداد: هشام عقيل

أنا لا اعرف كثيراً عن عرابي، ولكنني سأجازف وسأقول بإنه لا يتعدى كونه باشا من البشوات الذين يضمرون حقداً لإستيلاء الطغمة المالية على الخزينة الممتلئة بمداخيل الضرائب؛ وأنه، وبالإسلوب الشرقي المعهود، سيستولي عليها بالكامل عاجلاً أم آجلاً. (...) وهب أنه سيتخلى عن ديون الخديوي كلها، فإنه وعلى الرغم من كون ذلك امراً جيداً، ولكن يبقى السؤال الحقيقي هو: ماذا سيحصل بعد ذلك؟ لا يمكننا، نحن اشتركيوا أوروبا، أن ننخدع حالنا حال هؤلاء الفلاحين المصريين — أو اللاتينيين.

(من رسالة انغلز إلى ادوارد بيرنشتاين، 9 اغسطس 1882)

الأمير عبدالقادر واحتلال الجزائر

على كل، إنه – برأيي – أمر جيد بأنه تمّ اعتقال الأمير عبدالقادر، حيث كان صراع البدو بلا أي طائل. ورغم أن الأساليب التي تمّ اتباعها من قِبل جنود مستبدين، مثل بيجو، كانت خاطئة وبلا أي مبرر؛ فإن احتلال الجزائر لهو شيء حسن وهام بالنسبة إلى التقدم الحضاري. إنه من غير الممكن وقف اعمال القرصنة في البلدان البربرية عند حدها، والتي لم تتعارض مع الحكومة الانجليزية طالما لم تزعج حركة سفنها، سوى عبر احتلال واحدة من هذه البلدان.

كما أن احتلال الجزائر قد دفع بايات تونس وطرابلس، وحتى إمبراطور المغرب، لدخول ركب الحضارة. فكان عليهم أن يبحثوا عن وظائف اخرى لتوظيف شعوبهم غير القرصنة، ووسائل اخرى لتراكم خزائنهم غير الأتاوات المدفوعة لهم من قِبل البلدان الأوروبية الصغيرة.

وإن كنا سنندم بأن حرية البدو الصحراويين ستتبدد، فعلينا ألا ننسى بأن هؤلاء البدو كانوا أمة من اللصوص — اعتاشوا على الترحال إما ما بين بعضهم البعض وإما نحو القرويين: ينهبون كل ما يقع تحت ناظرهم، يسحلون كل من يقاومهم، يبيعون سجنائهم كعبيد. إن أمم البرابرة تبدو معتزة، ونبيلة، ومجيدة من بعيد، ولكن حالما تقترب منهم ستجد بأنهم، مثل باقي الأمم المتقدمة، محكومون بالجشع — اللهم أنها اكثر وحشية. ولكن في نهاية المطاف، يبقى البورجوازي الحديث، مع حضارته، وصناعته، ونظامه، وتنويره النسبي على الأقل، افضل من السيد الإقطاعي أو اللص النهاب الذي ينتمي إلى ذاك المجتمع البربري.

(من مقالة انجلز المنشورة في صحيفة النجمة الشمالية تحت عنوان: «كشوفات مذهلة — عبدالقادر — سياسة جيزو الخارجية»، 22 يناير 1848)

اللغة الفارسية

وبما إنني ارتبطت بالسخافات الشرقية منذ أسابيع، فإنني اغتنمت الفرصة لأتعلم اللغة الفارسية. لكنني لست معجباً باللغة العربية، وذلك جزئياً بسبب كراهيتي الفطرية للغات السامية وجزئياً بسبب استحالة التقدم إلى الأمام، من دون أن تكون قد اخذت وقتاً طويلاً، مع لغات شاملة ومتسعة — لغة لها 4 ألاف جذر وترجع زمنياً إلى ألفين أو ثلاث آلاف سنة. إن اللغة الفارسية سهلة إذا قمنا بمقارنتها بالعربية، ولولا حضور الحروف العربية الملعونة التي تبدو نصفها كنصفها الثاني والتي لا تكتب فيها حروف العلة، لكنت تعلمت قواعد اللغة الفارسية في غضون يومين. (...) لكنني، في كل الأحوال، مستمتع بقراءة الشاعر حافظ باللغة الأصلية (...) أما السرد الفارسي فهو ممل جداً، مثلاً: كتاب (روضة الصفا في سيرة الأنبياء والملوك والخلفاء) للسيد مير خوند الذي يسرد الملاحم الفارسية بلغة مزخرفة ولكن فارغة. أما عن الإسكندر الأكبر، فيقول بإن الاسم «اسكندر»، في اللغة الآيونية، هو أكشيد رس (مثل اسكندر، شكل محرف لـ اليكسندروس)؛ ويقترب من معنى «فيلسوف»، الذي يشتق من فيلا، ايّ حب، وسوفا، ايّ حكمة — وبالتالي، «اسكندر» هو مرادف لـ «محب للحكمة».

(من رسالة انغلز إلى ماركس، 6 يونيو 1853)

عازف الناي، والموري، والطاووس

حين استمعت إلى الصوت، رأيت شيئاً يخيل لي سيجعل صغيرك جوني يضحك بلا توقف. ففي الحديقة عزف هذا الزنجي على كمان صغير بينما كان يرقص ويضرب صاجات الرقص ببعضها البعض — يلوي جسده بتعبير غريب ويحرك وجهه بطريقة تجعل ابتسامته امراً مثيراً للضحك. إن زنوج الجزائر كانوا عبيد الأتراك، والعرب، إلخ.، ولكن حرّرهم النظام الفرنسي. وفي كل الأحوال، إذا نظرنا إلى ما هو وراء هذا الزنجي، سنجد رجلاً ينظر إليه بشكل نبيل ويبتسم نحوه بشكل مترفع. والظاهر بأن هذا الرجل هو موري؛ وبالمناسبة فإن الموري يسمى عربي في الجزائر، وقليل منهم يعيش في المدن بقرب الأوروبيين، بعيداً عن الصحراء و جماعاتها. إنهم أطول من المتوسط الفرنسي، ولهم وجوه دائرية، أنوفهم معقوفة، عيونهم واسعة ومدهشة؛ لهم شعور ولحى سوداء، كما أن بشرتهم تتراوح ما بين كونها تقريباً بيضاء إلى سمراء غامقة. (...) بدأ الموري – الواقف خلف الزنجي في مزرعتنا – يصيح ليبيع البرتقال والديكة، يا له من مزيج غريب لسلع معروضة للبيع. وما بين الموري، بكل سحره، وهذا الزنجي الراقص المبتسم، وقف حيواناً مختالاً — إنه الطاووس المتكبر بعنقه الأزرق المذهل وذيله المزخرف. أريد أن اسمع صدى ضحك جوني على الثلاثي الغريب هذا!

(من رسالة ماركس إلى ابنته جيني، 6 ابريل 1882)

التقدمي

رئيس التحرير: د. حسن مدن ـ مدير التحرير: فاضل الحليبي

التقدمي العدد 138 ـ مايو 2019 السنة السابعة عشر SDPA 499

مقبلٌ موعد
المهرجان الذي
نكتبُ الآن تاريخه

■ الشهيد سعيد العويناتي

الحلقة «7»

صندوق الذكريات

من جدا وإليها ثانية

أطلق سراحي ذات مرة بعد اعتقال ما في عام 1971، وما أكثر المرات التي اعتقلت فيها في تلك الفترة، ولكني لم أمكث خارج المعتقل إلا قليلاً جدا، ووجدت في تلك الاعتقالات ضريبة خياري السياسي والفكري في الحياة، فلست أؤمن بالاستقالة أو التقاعد من العمل الحزبي مهما كان الأمر مكلفاً، فهذا الأمر غير موجود البتة في قاموسي وقاموس من اختار النضال طريقاً له في الحياة.

أعتقد أنني نذرت نفسي ووضعت روحي على كفي للعمل بحالة مستمرة دون توقف أمام أي عائق، ودون القبول بأية مبررات تجعلني بعيدا عن العمل التنظيمي. فهذا الأمر مغروس في النفس بعمق ولا يمكن الحياد أو البعد عنه في أي ظرف من الظروف حتى لو كانت استثنائية.

بعد إطلاق سراحي بفترة وجيزة، وكنت على علم بموعد للعلاج في مجمع السلمانية الطبي للدكتور أحمد حميدان رفيقي في المعتقل قبل إطلاق سراحي، فذهبت، في نفس اليوم وفي نفس الموعد إلى العيادة التي كنت أعلم أن أحمد سيؤخذ إليها. وجيء به رفقة رئيس العرفاء أحمد مراد وشرطي آخروكان الاثنان يعرفاني جيداً، فلم يحاولا منعي من الإقتراب منه والتحدث إليه قبل دخوله إلى الطبيب المعالج.

وكنت قد جلبت معي إليه بعض العصائر الطازجة وقليلاً من الفواكه لكي يأخذها معه إلى زنزانته، وبعد الإنتهاء من معاينة الطبيب افترقنا؛ هو أقتيد إلى سيارة الشرطة مع المرافقين وأنا توجهت إلى سيارتي عائداً. وقد أثار تصرفي هذا حفيظة الجهات الأمنية، ورغم طيبة رئيس العرفاء أحمد مراد إلا إن تقريراً رفع لضابط السجن المناوب عن زيارة أحمد حميدان للطبيب، ومقابلتي له التي انتزعتها انتزاعا.

ولم تمض أكثر من ساعتين على رفع هذا

محمد نصرالله

التقرير، حتى تقرر أمر اعتقالي ثانية، وجيء بي إلى سجن المنامة مقيداً. وأدخلت الزنزانة المعهودة التي كان المعتقلون والسجناء يطلقون عليها اسم (أم البول) التي أخليت ووضعت فيها، لتنتهي حريتي المؤقتة، وبعد قليل جيء بوجبة الغداء التي تتكون من الدجاج والرز؛ ووضع السجناء بصلة بين الرز لأنهم علموا بأمر وجودي في تلك الزنزانة، كسجين انفرادي.

وفي حدود الساعة الرابعة عصراً طُرق باب الزنزانة، وطلب مني أن أخرج بعد أن وضعوا القيود في معصمي اللذين اعتادا على ذلك، واقتدت إلى ما كانت تعرف بسيارة الإعدام. وبعد برهة جيء بالدكتور أحمد مقيداً وأركب السيارة ووضع في الحجرة المقابلة في السيارة نفسها، بعد أن شدّ الوثاق علينا في الزنزانة المتحركة.

ووسط حراسة مسلحة مشددة انطلقت بنا السيارة إلى مرفأ البديع حيث كانت في الانتظار السفينة التي ستقلنا إلى جزيرة جدا، وعند الوصول إلى الجزيرة استقبلنا رئيس العرفاء فاضل البلوشي وغيره من شرطة جدة. وتوجهنا إلى مكتب الضابط سميث، الذي خصّني بالترحيب، وهو يقول: لقد أنهيت إجازتك ورجعت إلينا بسرعة. ثم حولونا إلى سجن بيت الدولة حيث التقينا بالرفاق الذين كانوا معنا قبل ثلاثة أشهر.

فقابلت من جديد الرفيق أحمد الشملان الذي عانقني، وأدخلت إلى الزنزانة الصغيرة رقم (4) معيته، كما كان الحال قبل إطلاق سراحي.

والزنزانة الأولى كانت من نصيب الدكتور أحمد حميدان، والزنزانة الثانية للشاعر عبدالحميد القائد والزنزانة الثالثة للسيد سلمان السيدعلي كمال الدين.

عدتُ هذه المرة وليست لدي أية أغراض شخصية. وكان أغراضي السابقة التي تركتها مازالت موجودة في الزنزانة، فقمت باستخدامها مؤقتا حتى أحصل على أغراض جديدة، ومن هذه الناحية فنحن في اكتفاء ذاتي وعلى استعداد لتموين آخرين يقدمون إلى المعتقل.

بالإضافة إلى الزنزانات الأربع توجد زنزانتان أخريان رقم (5) ورقم (6) ورغم كونهما خاليتين نظراً لقربهما من الحمام، لكنهما صالحتين لاستقبال أي معتقلين في حالة قدومهم.

كما كانت توجد في جدا حجرة خاصة على هيئة زنزانة تجرى فيها المقابلات مع عائلات بعض السجناء والمعتقلين السياسيين، الذين لا يسمح لهم بمغادرة جدا والذهاب إلى البديع لملاقاة أهاليهم. وإنما يؤتى بهم ويوضعون في طرفٍ مقابل يفصل بينهم حاجز زجاجي سميك، حيث لا يتمكن السجين من مصافحة الزائرين إلا بالأصبع فقط.

ومن هؤلاء السجناء كان المرحوم الرفيق مجيد مرهون، حيث كانت والدته تؤخذ بالسفينة من فرضة البديع إلى جزيرة جدا لزيارة فلذة كبدها المقيد والمكبل بالقيود لمقابلته مدة ساعة واحدة في أحسن الأحوال، ثم ترجع قافلة من حيث أتت بالسفينة نفسها، وفي نفسها غصة لأنها لم تتمكن حتى من شمّ رائحة ابنها الغالي.